محمود محمود

روائع المسرح العالمي

٤

مروحة ليدي وندرمير

تأليف

أوسكار وايلد

ترجمة

عباس يونس

مراجعة وتقديم

عبد الرحمن صدقي

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الأقليم الجنوبي
الإدارة العامة للثقافة
ج . ع . م .

مقدمة
المؤلف ومسرحيته
بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

نشأة المؤلف

ولد المؤلف فى دبلن عاصمة أيرلنده فى الخامس عشر من أكتوبر عام ١٨٥٤ ، وعلى أثر ميلاده تلقى كسائر المواليد اسما ليعرف به عند الناس ، فكان اسمه عدة متسلسلة من الأسماء العظام مضافة إلى لقبه كالآتى : أوسكار فنجال اوفلاهرتى ويلز وايلد « Wilde Oscar Fingall O'Flahartie Wills » وكان الصبى فخوراً بترديد أسمائه فى صباه ، ثم ما لبث أن جعل يساقطها واحدة واحدة ، حتى أصبح اسمه هو ذاك الاسم الشهير الذى لانعرف له اليوم اسماً غيره : « اوسكار وايلد » .

وكان والد المؤلف : « وليم وايلد » من الأطباء الجراحين المشاهير ، وقد بلغ من شهرته فى معالجة أمراض العيون والأذن فى عهد الملكة فكتوريا أن عين منذ سنة ١٨٥٣

« طبيب الملكة » وأنعم عليه سنة ١٨٦٤ بلقب « فارس » فأصبح السير وليم وايلد . ولقد نقم عليه أصحابه الأرلنديون قبوله هذا الإنعام من نائب الملكة الذى يحكم باسم الاستعمار الغاشم ، ولكنهم لم يلبثوا أن تناسوا ذلك حين امتدت شهرته إلى أوروبا حتى لقبه علماء الألمان « أبو علم الأذن الحديث » وأنعم عليه ملك السويد برصيعة من شارات التكريم . ومن مآثر هذا الأب الطبيب إنشاؤه أول مستشفى لأمراض الرمد فى أيرلنده ، فضلا عن شرائه بعض الأرض الزراعية البور لتأجيرها لفقراء الفلاحين بأجر يسير . ولم تكن هذه المساعى الإنسانية العمرانية مع ذلك لتشغله عن العكوف طوال حياته على الأدب والطب معاً . فقد صنف ، عدا كتابه عن أيرلنده كتاباً فى وصف رحلاته ، وآخر عن الأيام الأخيرة من حياة أديب أيرلنده الأكبر « سويفت » ، وكان بسبيل إنجاز مصنف عن الشاعر الفرنسى « بيرانجيه « Beranger » حين عاجلته المنية . وإلى جانب الشهرة العلمية والميول الأدبية التى كانت لوالد مؤلفنا ، شاعت له شهرة أخرى وهى استهتاره فى حب الجمال ونزوعه السادر إلى الاستمتاع بالحياة .

أما والدة مؤلفنا « جان فرانسسكا إلجى Jane Franciseca Elgee » فتنتمى إلى أسرة أيرلنـــدية صميمة أنجبت قساوسة وأطباء ، وكانت الفتاة نفسها فى زمنها من النساء

الكاتبات . وكانت تطالع المؤلفات اللاتينية واليونانية والألمانية حتى كان أهل عصرها الڤكتورى يأخذون عليها ما تضيعه فى ذلك من وقت كان الأولى بها وقفه على رعاية بيتها وزوجها . وعلى الرغم من كونها من بيئة بروتستانتية ، ورؤساء الثورة الوطنية من الكاثوليك ، فإنها تحمست منذ الثامنة عشرة من عمرها للمطالبة بالحرية الأيرلندية ، واشتغلت بالكتابة السياسية التى كانت تمهرها باسم إيطالى معناه « رجاء Esperanza » وبهذا الاسم نشرت الكثير من المقالات والشعر الوطنى فى صحف دبلن اليومية ، ولكنها لم تشتهر فى أيرلنده إلاّ فى عام ١٨٤٨ حين اشتركت فى تحرير مجلة « الأمة Nation » أهم المجلات الأسبوعية فى العاصمة الأيرلندية ، وأصرحها فى الدعوة الثورية . وقد بلغت الجرأة بالمجلة أن كانت تنشر للمحدثين من الثائرين دروساً فى طريقة نسف الجسور وصنع الرصاص للبنادق .

وكانت أعنف مقالة نشرتها المجلة تحمل عنوان « إلى السلاح » وهى غفلٌ من التوقيع ، وكانت تدعو إلى مهاجمة القصر الذى يقيم فيه ذلك الطاغية الأجنبى ويصدر منه أوامر الخيانة والعدوان ضد شعبنا ، وضد وطننا ، منذ سبعمائة سنة » . ولم يكن مثل هذا التحريض بالذى يمكن التغاضى عنه ، فصدر أمر الحاكم بمصادرة أعداد المجلة وتعطيلها ومحاكمة مديرها الذى ألقيت التبعة كلها عليه وحصرت فيه . ولما أن

قرأ المدعى العام أثناء المحاكمة فى سياق كلمة الاتهام نبذة من مقال « إلى السلاح » ، إذا بفتاة شابة تهبّ من جلستها بين الحاضرين صائحة : « أنا المذنبة إن كان فى الأمر مذنبون » . وهذا الموقف النبيل الذى وقفته الكاتبة التى عُرفت فى الصحف باسم « رجاء » أكسبها الحظوة عند الناس والاشتهار بينهم . وقد أعقب تعطيل المجلة تشريد محرريها ، ثم جاء زواجها فى عام ١٨٥١ فأبعد « مسز وليم وايلد » عن السياسة.

وقد أثمر هذا الزواج ولدين وبنتاً ماتت صغيرة ، وكان مؤلفنا واسطة العقد . وقد ورث من أبيه استهتاره فى حب الجمال ونزوعه إلى الاستمتاع الحسّى بالحياة . وهذه الحرية التى اعتادها الأطباء فى كلامهم عن العلاقات الطبيعية بين الرجال والنساء ، كما ورث من أمه روح الحماسة والاندفاع واستكراه العزلة والانزواء ، وحب الظهور وطلب الاشتهار ، وعدم الصبر على الحياة بعيداً عن مطارح الأنظار .

وكان السير وليام والليدى وايلد بطبيعـــة مركزهما الاجتماعى وما تقدم لهما من شهرة فى العلم والسياسة والأدب يعرفان علية القوم ، وكانت ندوتهما أشهر الندوات فى دبلن ، حيث كان يجتمع فى صالون الاستقبال صفوة أبناء العاصمة من سيدات الطبقة الراقية والسادة الأثرياء والعلماء المتنطسين «والفنانين» البوهيميين ، وكانت صاحبة الدار شديدة الحرص على زينتها مع تكلف البهرج . وفى هذا الوسط

نشأ مؤلفنا يلاحظ خصائص الناس من مختلف الطبقات ويسمع حديث الصفوة فى بلد يعدّ أسرع بلاد العالم خاطرًا وأحضرهم بديهة ، وأفكههم حديثاً وأملحهم نادرة وأكثرهم ألمعية .

وقد أتم مؤلفنا الدراسة فى كلية ترينيتى Trinity College فى جامعة دبلن ، وكان أكثر تميزه فى الآداب اليونانية الرومانية ، وانتقل بعدها إلى إنجلترا حيث التحق عام ١٨٧٤ بكلية ماجدلين Magdelen بجامعة أكسفورد . وهنا ظهرت بوادر ما ورثه عن أمه من حب الزينة ، فكان يرسل شعره ويزخرف غرفته بريش الطاووس وأزهار السوسن وعبّاد الشمس وآنية الخزف الأزرق ، وغيرها من الطرائف الفنية معلناً رغبته فى أن يحيا حياة جميلة تتفق وهذا الجو الفنى الجميل ، معرباً عن تأثره العميق بمذهب « الفن لذات الفن » الذى اشتهر به وقتئذ الفنان « جيمس ويسلر James Whistler » فى عالم التصوير .

ولقد أفاد طالبنا الكثير من زيارته عام ١٨٧٧ لإيطاليا ثم لليونان ، وعاد بعدها إلى لندن عام ١٨٧٨ حيث كانت قد استقرت أمه وأخوه الأكبر بعد وفاة أبيه ، وهنا آلى على نفسه على الرغم من قلة موارده أن يحيط نفسه بمظاهر الجمال والترف ، فكان يستدين لينفق على مظهره ،

فلا يُرى إلا مستقلاً المركبة وفى يديه القفازات وفى عروته الزهرة المفضلة .

وهكذا نصب أوسكار وايلد نفسه فى أحاديثه وفى حياته وكتاباته الرسول الداعى لمذهب « الفن لذات الفن » وتطايرت شهرة هذا المذهب حتى تناول مبالغاته بالمحاكاة المسرح الفكاهى الغنائى فى الأوبرا المسماة «صبراً Patience » التى اشترك فى إخراجها «جلبرت وسوليفان Gilbert and Sullivan » عام ١٨٨١ ، كما تعقبته بالتعريض اللاذع منذ ذلك الحين مجلة « بنتش « Punch » المصورة الهزلية ذات الشهرة العالمية ، وهى أكبر مجلة للنقد السياسى الاجتماعى .

وفى هذا العام نفسه ظهرت مجموعة أشعار لأوسكار وايلد فى طبعة أنيقة لفتت إليها على الأخص أنظار النساء . وكان الشاعر يلازمهن ويؤنس بحديثه مجالسهن . ولم يلبث أن صارت لصاحبنا شهرة بين أعلام العصر باعتباره داعية من أصحاب « فلسفة الجمال الفنى aesthete »

وتناقلت الصحف وجرت على الألسن خواطره البراقة ومفارقاته الطريفة عن الفن والحياة ، فكان من ذلك ولاسيما بعد أن كثر الكلام فى أمريكا عن مذهب « الفن لذات الفن » ومُثِّلَتْ فى محاكاته الأوبرا الفكاهية « صبراً » على بعض مسارح برودواى فى نيويورك ، أن فكر بعض المتعهدين فى دعوة ممثل هذا المذهب « أوسكار وايلد » للقيام برحلة

محاضرات فى الولايات المتحدة الأمريكية فأبحر فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨١ مزوداً بالخواطر الذكية والمفاجآت والمفارقات ، فما كادت تطأ قدمه الأرض الأمريكية حتى رد على السؤال المعتاد لرجال الجمارك « هل تحمل معك ماينبغى التبليغ عنه » بقوله : « ليس معى ما أبلغ عنه إلا عبقريتى » . وطاف المحاضر فى مختلف الولايات ولقى مالقيه من نجاح متفاوت الدرجات ثم ارتحل فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٢ واستقبل عام ١٨٨٣ فى انجلترا وهو عامر الجيب بالمال مع ميل مستحدث إلى الأسفار فلم يلبث أن سافر إلى باريس حيث ظل بعض الوقت محتفظاً بشعره الطويل شاهداً على مذهبه فى فلسفة الفن الجميل ، فلما أن ألفى رجال الفن فى الحى اللاتينى نفسه قد انصرف معظمهم عن هذه الشارة أسلم شعره للقص عند حلاق باريسى ، وزعم للناس أنه اتخذ لشعره المقصوص الهيئة التى تشاهد فى هامة نيرون فى تمثاله النصفى فى متحف اللوفر .

ولم يفت أوسكار وايلد أن يقابل فى باريس الممثلة الكبرى « ساره برنار » وبعض الأعلام من مؤلفى المسرح الفرنسى ونقاده وممثليه مثل كوكلان Coquelin وبعض الأدباء .

وفى صيف عام ١٨٨٣ كان أوسكار وايلد يلقى فى لندن وبعض البلدان الانجليزية مختلف المحاضرات عن رحلته

الأمريكية وعن مذهبه الجمالى . وكان وقتئذ قد أوفى على النضوج وطرق كل أبواب الفن فعالج الشعر والمسرح الشعرى وكتب فى النقد ، وتجشم الرحلات وألقى المحاضرات ثم انتهى — كما ينتهى شباب العصر المتحذلقون حين تدركهم الفاقة أو الملالة — إلى التفكير فى الزواج .

وكان أوسكار وايلد قد عرف فى دبلن أثناء رحلاته فتاة تعلق بها وهى « مس كونستانس مارى لويد Miss Constance Mary Lloyd » فتزوجها فى لندن فى التاسع والعشرين من مايو سنة ١٨٨٤ وقضى معها « شهر العسل » فى باريس ، وكان زواجا روعيت فيه المبادئ البورجوازية التى تتوخى التوسط بالتوفيق بين المال والجمال . واطمأن صاحبنا إلى هذا الزواج وظل بلا عمل طوال الأعوام الثلاثة الأولى ، إلا كتابة مايطيب له من الشعر والأدب فى الحين بعد الحين ونشره فى مختلف الصحف والمجلات .

وكان الزوجان سعيدين بهذا الزواج وقد رزقا فى العام الثانى ولداً ، وفى العام الذى يليه بنتاً ، وقد أخذت مسز وايلد تعانى الضيق المالى كلما احتاجت إلى شراء ثوب جديد أو قبعة جديدة . أما أوسكار وايلد فكان ينتظر على يقين من حدوث شىء . ولم يخطئ مع ذلك فى التقدير فقد جاءه بعد طول التأخير ناشر صحيفة نسائية يعرض عليه إدارتها اعتماداً على اشتهاره بفلسفة الجمال ، وهكذا أصبح أوسكار وايلد

منذ أكتوبر سنة ١٨٨٧ لغاية سبتمبر سنة ١٨٨٩ رئيس تحرير « عالم المرأة » The Woman's World وللمرة الأولى عرف أوسكار وايلد الاستقرار والحياة المنتظمة وحرص عليها .

وانفتحت على مصراعيها أبواب المجتمع اللندنى أمام أوسكار وايلد فغشى صالوناته الأنيقة المرموقة . وهنا لفت الأنظار واسترعى الاهتمام بسرعة إجاباته ولطف كناياته فى تبجح أو تهكم أجاد صقله واصطنع له القالب الأنيق ، مع اختيار للظرف الملائم بحيث يجد السامعون فيما يقول مايزيل عنهم الملل ويشيع الابتسام ، وتتناقله الألسن فى مختلف الأوساط من العلية الاجتماعية والصفوة الفكرية والمتحذلقة .

وفى هذه الأثناء أصدر روائع حكايته الخيالية الشائقة مزينة بعضها بالرسوم الفنية المونقة مثل « الأمير السعيد وحكايات أخرى The Happy Prince and Other Tales » «ودار الرمان The House of Pomegrenate » ، كما جمع مانشره عن مذهبه فى الجمال والحيـــاة فى كتاب بعنوان « مفاهيم Intentions » وهى أقوال لا يخلو بعضها من الاجتراء على المواصفات التى كانت سائدة فى العصر الفكتورى المتزمّت . ولكنه كان أشد إجتراءً على المواصفات فى تناوله فى مجلة « بلاكوود Blackwood » عام ١٨٨٩ للشخصية التى قيلت فيها مقطوعات شكسبير الغرامية . كما ظهرت

جرأته سافرة عام ١٨٩٠ فى قصته المشهورة « صورة دوريان جراى Portrait of Dorian Gray »

المحاولات المسرحية الأولى

كان أوسكار وايلد قد عالج الكتابة للمسرح فأصدرت له إحدى دور النشر عام ١٨٨٠ مسرحية « فيرا Vera » وهى تذكرنا بأمه الثائرة الأيرلندية ، لمدارها على ثورة الإرهابيين الروس على القيصر والنظام القيصرى كله ، وقد اتفق أن قتل القيصر إسكندر فى شهر مارس من العام التالى فأثار ذلك رغبة إحدى الممثلات فى تمثيلها على مسرح « ادلفى » فى لندن ولكن سرعان ما درج النسيان على مصرع القيصر وتبيّنت الممثلة أن المسرحية تغلب عليها الروح الخطابية فلم يُقدَّر لها قط أن ترى أضواء المسرح الإنجليزى . وقد طبع المؤلف أثناء جولته فى أمريكا من مسرحيته خمسين نسخة على نفقته أرسلها لمديرى المسارح ومشاهير الممثلين على أمل تمثيلها فلم يتحقق أمله . وأخيراً أثناء مقامه فى باريس سنة ١٨٨٣ جاءه خبر قبول الممثلة الأمريكية « مس مارى پرسكوت Miss Marie Prescott » تمثيل مسرحيته فى نيويورك. فقطع زيارته لباريس وعاد إلى لندن .

وهنا عكف على مراسلتها موضحاً لها بعض التفاصيل

فى الإخراج ، وكان اشتهاره كصاحب مذهب فى الجمال الفنى يقتضيه الاهتمام بالمناظر . فلا غرْوَ من أن نراه يدقق فى أن تكون قاعة المجلس فى المسرحية مكسوة بالحرير الأصفر ، كما أرسل على سبيل النموذج قصاصة من الحرير القرمزى ليصنع من مثلها الثوب المطلوب للفصل الأخير . فلما أن جاءه من الممثلة أنها لم تجد هذا الصنف من الحرير فى نيويورك حمله إليها بنفسه وهو مسافر عبر المحيط الأطلسى لحضور الحفلة الافتتاحية لمسرحية « ڤيرا » فى العشرين من أغسطس عام ١٨٨٣ . ولكن المسرحية لم تلق نجاحاً على الإطلاق فعاد أدراجه إلى انجلترا دون إبطاء .

وعدا هذه المسرحية الفاشلة نظم أسكار وايلد مسرحية أسماها « دوقة بادوا Duchess of Padua » أثناء مقامه فى باريس ، ولعل شهوده لبعض مسرحيات ڤيكتور هيجو فى الكوميدى فرانسيز حرّك هذه الرغبة فى نفسه . ولكن هذه المسرحية أيضاً لم تمثل إلا فى يناير عام ١٨٩١ دون إشارة إلى اسم المؤلف وبعنوان « جويدو فيرانتى Guido Ferranti » وفى إحدى مسارح برودواى بنيويورك مثل سابقتها .

وكان أوسكار وايلد قد نال حفاوة لدى أصحاب المذهب الرمزى فى فرنسا بفضل كتاباته ثم اتصالاته الشخصية بأعلامهم وقد أصبحوا يعتبرون مؤلف « دوريان جراى » ممثل مذهبهم فى انجلترا فلا غرو أن نراهم أثناء مقامه فى

باريس يقيمون له الحفلات والمآدب الفاخرة التى تتفق مع مظهره الطاووسىّ ومذهبه الجمالى .

وكان أوسكار وايلد حتى هذه الساعة قد عالج فى الانجليزية فنون الأدب نثراً وشعراً كما كان الصحفى والمحاضر ؛ ورجل المسرح . فبدا له وهو فى باريس أن يرد التحية للفرنسيين بتأليف مسرحية بلغتهم ، واختار لذلك موضوع « سالومى » ولعله كان متأثراً فى اختيار موضوعها بقصة الأديب الفرنسى « فلوبير Flaubert » وفى أسلوب تناولها بالأديب البلجيكى « مترلنك Meterlink » من أشهر كتاب المسرح الرمزى وخاصة بمسرحية « السبع الأميرات » . ولعله كان أيضاً يفكر فى الممثلة الكبرى « ساره برنار » التى كان عظيم الإعجاب بها لتتقمص شخصية « سالومى » بسحرها العاطفى وصوتها الذهبى ، وهكذا كتب المؤلف الانجليزى عام ١٨٩١ مسرحيته باللغة الفرنسية ، وجعل إهداءها للمؤلف الفرنسى « بيير لويس Pierre Louys مما يدل على مشاركته فى تهذيب لغتها التى لم يكن ليتقنها الأجنبى إتقان أهلها . وقد اتفق أن أقيمت فى لندن حفلة استقبال للممثلة الفرنسية « ساره برنارد » أقامها الممثل الإنجليزى الشهير « هنرى إرفنج Henry Irving » وفى هـذه الحفلة أيدت الممثلة قبولها تشخيص « سالومى » أثناء مقامها فى انجلترا . وفى مدى ثلاثة أسابيع كانت

التجارب التمثيلية قد أوفت على نهايتها ، وكانت الملابس والمناظر مجهزة حاضرة بأكملها ، حين ثار اللغط حول تحريف المسرحية لما جاء فى التوراة فى منطوقه ومدلوله .

الانتصار الأول الكبير

« مسرحية الليدى وندرمير »

فى هذه الأثناء حدث ما شغل أوسكار وايلد عن هذه المسرحية التى تعذّر تمثيلها إلى مسرحية أخرى مرشحة للتمثيل على يد علم من أعلام الممثلين ومديرى الفرق التمثيلية « جورج الكسندر » . فقد كان جورج اسكندر فيما يظهر أول إنجليزى من رجال المسرح توسّم فى « أوسكار وايلد » الموهبة المسرحية . فألح عليه أن يكتب موضوع كوميديا عصرية ، ولكن صاحبنا لم يستجمع عزمه لذلك لاعتقاده بأنه إنما خلق شاعراً ومفكراً . فبادره مدير الفرقة بأن دفع إليه مائة جنيه ، فبهره هذا المال دفعة واحدة وعكف على العمل فأنهى على عجل أربعة فصول فى شهرين . وكان شاغله الأكبر اختيار اسم لبطلة المسرحية فاستعار لها اسم « سيدة وندرمير » نسبة إلى بلدة انجليزية فى منطقة البحيرات شمال انجلترا ، فصار عنوان الكوميديا « مروحة ليدى وندرمير Lady Windermere's Fan » .

وكان المسرح فى هذه الآونة يعانى مثل جهد المخاض مؤذناً بميلاد جديد . ذلك أن المسرح هنا منذ أجيال ، كانت مهمته الترفيه ، مع إتاحة الفرصة لشئ من التأثر الرقيق يستشعر معه المتفرجون أنهم إنسانيون . ثم جاء جيل من رجال المسرح أبوا إلاّ أن يطلّع الإنجليز على « إبسن » المؤلف المسرحى النرويجى ، فأخرجوا له مسرحية « بيت الدمية » عام ١٨٨٩ و« الأشباح » « وهيدا جبلر » عام ١٨٩١ على المسرح الإنجليزى فصار على رواد المسارح أن يواجهوا الحياة ويفكروا فيها . وهى مهمة كانت جد مستحدثة على رواد المسرح . وقد احتجت الصحف على عرض هذه المسرحيات ، حتى ذهب بعضها إلى وصف « الأشباح » بأنها كالقرحة الممدّدة تعرض على الأنظار مكشوفة غير مضمّدة ، أو كمصرف القاذورات يفتح على مشهد من السابلة ، أو كالفعل الفاضح يرتكب جهارا . ولكن هذه الحملات الهجائية لم يكن فيها القضاء على المؤلف النرويجى بل قدمت المسارح مسرحيات له غير التى تقدمت . وبدأ الناقد الأيرلندى برنارد شو فى الكتابة للمسرح وإذا قيل إنه فى مسرحياته لا يحاكى « إبسن » فإنه — دون مراء — يستوحى مايستوحيه « إبسن » من إثارة التفكير فى الحياة .

فى هذه اللحظة بعينها ، تقدم « اوسكار وايلد » للانجليز بكوميديته الأولى عن الحياة العصرية ، فإذا رواد المسرح يجدون مرة أخرى تلك الضحكة وتلك الدمعة التى هم مولعون

بهما . ولكنهم فى هذه المرة يجدونهما فى قالب جديد أكثر جدارة وأرفع كفاية ، فلا غرو إذا رأينا رواد المسرح الذين سئم سوادهم « مسرحية الأفكار » يقبلون على هذا المسرح القديم الجديد بحماسة ظاهرة . وما من شك فى أن مسرحية « مروحة الليدى وندرمير » تستحق ما لاقته من نجاح منذ ليلتها الأولى فى العشرين من فبراير عام ١٨٩٢ على مسرح سانت جيمس St. James Theatre وكانت الدار مزدحمة تلك الليلة بالشذاذ من رجال الأدب والفن ، ولكن لندن كلها ما لبثت أن نزلت على رأيهم فى الإعجاب بالمسرحية وخرجت الصحف المعادية لمؤلفها على سابقة عدائها فخلعت عليه للمرة الأولى قلائد المديح وشهد له أعلام الأدب بأنه على قلة جده ينطوى على فنّان جاد .

لم يكن الفصل الأول قد انتهى حين أدرك جميع من كانوا يشهدون المسرحية فى ليلتها الأولى فى مسرح سانت جيمس أنهم لم يضيّعوا أمسيتهم . وكان نزول الستار بعد كل فصل بمثابة الإيذان بعاصفة من تصفيق الاستحسان .

وفى ختام الفصل الرابع كانت حماسة الإعجاب شديدة صاخبة ، قد بلغت الحد الذى لا يدع مجالا للتشكك فيما يُنتظر من نجاح تام فى مستأنف الأيام ، ثم تصايح جمهور الحاضرين يطلبون ظهور المؤلف على المسرح ليحيوه ، فطلع عليهم ، ولكنه نسى ذلاقة لسانه كما ذهل عن أن لفافة التبغ — وكان

قد دخن نصفها — لا تزال فى يده ، وألقى بضع كلمات خلت من الطلاوة وخانتها اللباقة : « يسرنى كل السرور أنكم انبسطتم — ويمكننى القول إننى كذلك قد انبسطت غاية الانبساط » . ولقد نقمت الصحافة عليه ظهوره على المسرح بالسيجارة وأغلظت له فى القول . ولكن « الليدى وندمير » مضت فى طريقها ، وظلت الكوميدية مطردة النجاح تعرض والدار مكتظة بالمتفرجين كل ليلة .

وهذا النجاح الذى لاقته « مروحة الليدى وندرمير » ليس مما يصح الوقوف فى تعليله عند ظروف مكانية وزمانيـــة . فالواقع أن نجاحها يذهب إلى أبعد من ذلك ، لأنه يرجع إلى ما فى هذه المسرحية من صفات ذاتية على الرغم من اختلاف النقاد فى تقدير هذه الصفات .

فنحن حين يرتفع الستار فى الفصل الأول عن حجرة الجلوس فى دار اللورد وند رمير نتعرف نماذج من المجتمع الإنجليزى الذى يعرف بالعلية : وفى هذه العلية « الدوقة » برويك Duchess of Berwick التى تجدّ فى طلب ثرى استرالى للزواج بابنتها البليدة الذهن الخامدة الطبع « أجاثا Agatha » كما نتعرف أخاها « اللورد أوجستوس لورتون Lord Augustus Lorton » الذى لا يذكر إن كان قد تزوّج مرتين وطلق مرةً واحدة ، أو أنه طلق مرتين وتزوج مرة واحدة . وكذلك نرى « الليدى بليمدال Lady Plymdale» وعشيقها الحالى « مستر دمبى

Mr. Dumpy ونلاقى على الأخص ذلك الذئب الفاسد المشهور « اللورد دارلنجتون Lord Darlington» وقد شبّت رغبته واشرأبت أطماعه إلى صاحبة الدار نفسها الليدى وندرمير . وكانت الدعوة قد وجهت إلى حفلة راقصة فى الدار تقام فى مساء ذلك اليوم نفسه بمناسبة عيد ميلادها الحادى والعشرين . وإننا لنعجب من الليدى نفسها حين نسمعها تتحدث عن شدة تدقيقها فى اختيار مدعويها ، بعد أن رأينا منهم هذه النماذج التى لم يكن لصاحبة هذه الدعوة أن ترتضيها .. ونحن هنا أمام واحدة من اثنتين إما أن الليدى وندرمير على جهل مطبق بخلائق البعض ممن يترددون عليها ، أو أنها مسترسلة فى نفاقها الاجتماعى بلا شعور من وراء المعقول . بيد أن هناك احتمالا ثالثا وهو أن يكون هؤلاء هم خيرة العلية من المجتمع الإنجليزى بالقياس إلى الكثيرين غيرهم .

ولقد كان اللورد دارلنجتون الذى ذكرناه آخراً ، هو فى واقع الأمر أول الزائرين هذا الصباح لليدى وندرمير ، كما يلاحظ أنه وقع نظره أول ما وقع على مروحتها « مروحة الليدى وندرمير » . وهكذا ذكّرنا المؤلف منذ اللحظة الأولى بما سيكون لهذه المروحة التى قدمها الزوج المحب هدية لزوجته من الشأن فى مسرحيته مثلما كان للمنديل فى مسرحية عطيل لشكسبير .

ولا يكاد هذا الذئب الشديد الخطر يستقرّ فى جلسته إلى صاحبة الدار حتى يعيد على سمعها ما درج عليه من عبارات الإطراء ومعسول الثناء . ولكنها كالقلعه الشماء ؛ بل الصخرة الصماء ؛ فى الشرف والإباء . فيعمد إلى الوقيعة بينها وبين زوجها وهو صديقه ، كما يفعل أمثاله من الذئاب الأدنياء ، ولكنه لا يبدأ بمواجهتها بالمأساة الفاجعة على أنها مأساتها ؛ بل يرويها من قبيل الرواية للمثال على خيانة الرجال لأزواجهن ليقرر فى ذهنها ما يقال عن حق المرأة فى خيانة زوجها فى مثل هذا الحال . ولكنها مع تأثرها لحال تلك الزوجة التى تسمع قصتها ، لا تتردد فى أن تدلى فى هذه القضية التى ليست قضيتها بالحكم المثالى الذى يتفق مع مكارم الأخلاق : « أإذا كان الزوجُ سافلاً ، وجب على الزوجة أن تكون مثله سافلة ! » ، وتظل الليدى وندرمير على وهمها بأنها قصة تُروى لها على سبيل المثال ، إلى ساعة ينصرف اللورد دارلنجتن عنها ، وتدخل الدوقة « برويك » فلا يكاد يوصد الباب خلفه حتى تنبئها الدوقة الثرثارة فى غير تحفظ ولا ترفق ما تلغط به العاصمة من علاقة لزوجها غير شرعية . وهنا تدرك الليدى وندرمير ما جرى على لسان اللورد دار لنجتون من التعريض والتورية الخفية أن زوجها اللورد وندرمير لا ينقطع ليل نهار عن زيارة « مسز إيرلن Mrs. Erlynne » والبقاء عندها ساعات طوال ، وفى أثناء

تلك الزيارات يعتذر الخدم بعدم وجودها لكل قادم غيره من الزائرين والزائرات . وعندها يشتد الكرب بالليدى وندرمير وتردد متسائلة كالداهلة « كيف ولم ينقض على زواجنا إلا عامان ، وطفلنا لما يزل رضيعاً ؛ عمره شهران ! »

ومنذ هذه اللحظة يظهر ما فى هذه الزوجة المثالية والسيدة الفاضلة من حماقة وضعف بقدر ما أظهرت منذ هنيهة من قوة ومتانة خلقية . فقد كانت جديرة بأن تواجه بالتهمة زوجها ، حتى يبرئ نفسه من التهمة الظالمة ، أو يثوب إلى رشاده مستغفراً ويقطع العلاقة الآثمة ، فإن لم يكن منه هذا أو ذاك ، هجرت بيت زوجها واعتصمت فى بيت عمتها التى قامت بعد وفاة أمها على تنشئتها تلك النشأة الصالحة التى كانت تفاخر بها منذ قليل .

ولكن الحِكَم الخلقية التى رددتها عمتُها على أسماعها وهى فتاة ، ثم رددتها هى على أسماعنا وهى زوجة ، قد أسقطتها المحنةُ من حسابها فجأة عند أول صدمة . فهذه هى تستبيح لنفسها أن تفتض مغاليق الخزانة السرية التى يحتفظ فيها زوجها «بدفاتره» المالية . ولقد وقعت بالفعل على مبالغ ضخمة صدر أمرٌ للمصرف بدفعها أكثر من مرة لتلك المرأة . وبينما هى كذلك يدخل اللورد وندرمير ويدور الحوار على أشده بين الزوج وزجته وينتهى على غير ما كان متوقعاً إذ يعترف الزوج بالوقائع كلها ، ولكنه ينكر مدلولها ، ويتركها لغزًا لا يريد أن

يعرض له بتفسير . بل يزيد الأمر ضغثا على إبّالة بأن يطلب من حليلته فى عيد ميلادها أن تدعو إلى حفلة الليلة هذه المرأة التى قيل إنها خليلته ، ولم يقم دليلٌ ولامايشبه الدليل على تفنيد ماقيل . وهذا هو يلحّ على زوجته فى إصرار « مارجريت أنقذى هذه المرأة أنها تريد أن تعود للمجتمع ، تريد منك أن تعينها على ذلك ... وأنا أريدك أن توجهى لها الدعوة إلى حفلة الليلة » . ولاشك فى أنه طلبٌ منكرٌ لايمكن أن يتصور . ويزيد الأمر نُكراً أنه لما رفضته الليدى وندرمير قرّر الزوج أن يوجه هو الدعوة ، وأشخص الخادم بها إلى مسز إيرلن . وهذا أيضاً تصرف رجل سفيهٍ ومتعسف ، لم يكن منتظراً من اللورد وندرمير ، إلا إذا كان قد انقلب حبه لزوجته بغضاً حتى قام بنفسه يُذلّها ويحقّرها أمام الملأ ، أو كان من هواة التعذيب لمن يحبون كما يفعل الشواذ المنتكسون . ولكن واحداً بعينه من هذه الأوصاف لا يصدق بجملته على اللورد وندمير فى جميع تصرفه .

وهكذا تعلن الليدى وندرمير زوجها بما انعقد عليه عزمها :

« إذا هذه المرأة قدمت هنا ، فإنى سأهينها » .

ويعجّل المؤلف بعدها بإنزال الستار تاركاً جمهور المسرح موزّع النفس معلّق الأنفاس فى الانتظار . وهذه الحركة من مؤلفنا من الأمثلة الظاهرة على اعتماده على

الوسائل المسرحية المدبرة . وهذه التدابير ظاهرة مرعية فى كل فصل من فصول المسرحية .

تبقى بعد ذلك من الشخصيات الرئيسية ، شخصية تلك المرأة الغامضة الحسناء الفاتنة ، الأنيقة غاية الأناقة التى أثارت اهتمام الرجال بها وتوجس النساء منها « مسز إيرلن » . ونحن نستعفى من كشف السرّ عنها فى المقدمة لاعتقادنا أننا لو فعلنا ذلك نخون المؤلف ونفسد المتعة على القارئ ، إذ نلغى من المسرحية التى نقدم هذا الكلام بين يديها دعامةً من دعائمها الكبرى وهى المفاجأة المسرحية .

ومن حق القارئ بعد هذا ، أن نحدثه عن مطلبين آخرين ، أحدهما يختص بالظاهر ، والآخر بالباطن الصميم ، وهما : بناء المسرحية ، ومزاياها الأدبية .

ويمكن اعتبار المسرحية فيما يتعلق ببنائها من النوع الذى اصطلح رجال المسرح على تسميته « المسرحية المتقنة البناء Eugène Scribe وهى التى يُعنى مؤلفها شديد العناية باستنباط الوقائع — وإن يكن بعضها قليل الشبه بالواقع — وتأليفها فى حبكة بارعة بحيث ينقلب الموقف فى كل آن بما ليس فى الحسبان ، وأخيراً بعد الكثير من المطل والمطاولة يكون حل العقدة أو العقد مفاجأة مثيرة غير منتظرة . وهذا هو نوع المسرحية الذى صار على يد كاتب المسرح الفرنسى « أوجين سكريب La pièce bien faite» مسألة آلية » . ثم

جاء من بعده « فكتوريان ساردو Victorien Sardou فسار على منهجه ، وإن لم يكن مسرحه مجرد بناء متقن مثل سلفه ، بل تجاوز ذلك بعض الشيء فكانت حياته المسرحية كلها انتصارات حتى صار فى عصره أشهر كتاب الدراما فى فرنسا كلها .

وقد راعى أوسكار وايلد فى مسرحيته ألاّ تتجاوز وقائعها الأربع والعشرين ساعة ، أى أنه تقيد بالنظريات القديمة المنسوبة إلى أرسطو ، وألزم نفسه قواعد المسرح الكلاسيكى الذى أقام راسين وكورنيي عهده الذهبى فى القرن السابع عشر .

ويتضح مما تقدم أن أوسكار وايلد لم يكن مبتكراً فى عمله المسرحى من حيث قالب المسرحية ، إذ كان فى ذلك يحذو حذو أنموذج موضوع مأثور .

وعلى خلاف ذلك يبدو أوسكار وايلد مبتكراً فى عمله المسرحى من ناحية مزاياه الأدبية ، كما هو ظاهر جلىّ فى هذه المسرحية : « مروحة الليدى وندرمير » .

ويأتى فى مقدمة هذه المزايا ما أظهره المؤلف من إدراك للطبيعة البشرية فالمخلوقات التى عرضها مخلوقات مثلنا من لحم ودم ، يكافحون السدود والحدود التى أقامتها تقاليد العصر الفكتورى .

كما أن تصوير المؤلف للمجتمع الإنجليزى من العلية

المتحذلقة لم يكن تصوير المتفرج من بعيد أو الموصوص من ثقب الباب ، بل تصوير ذى الخبرة الذى خالط وشارك ، فعرف كيف ينقل لنا هذا المجتمع بعقليته ولهجته فى صورة من النقد بارعة الفكاهة ، لطيفة العرض ، بعيدة عن الحقد .

كذلك جاء حوار المسرحية ناشط الحركة متألق الألمعية . ولا عجب فهو نجوى أناس لكل منهم نفسه التى تخصه ، وهم يعربون عنها بلسان « أوسكار وايلد » المحدث المجوّد فى أطيب أوقاته وخير حالاته .

ثم إن المسرحية فيها لحظات عامرة بالحكمة النفسية العميقة ، كاللحظة التى تقف فيها « مسز إيرلن » من « الليدى وندرمير » موقف الناصح المتأثر فى الفصل الثالث . وهذا كله دون أن نشعر بأدنى محاولة تعسفية من المؤلف ليفرض علينا ذلك الأثر المزدوج الحادث فى نفوسنا .

كما أن هنالك لحظات نسائل فيها أنفسنا حين نجد المؤلف وقد تعقد فى يده الموقف : كيف تراه يعالج هذا الموقف ، وعلى أى وجه سيكون مخرجه ؟ فإذا هو فى كل مرة يحل العقدة لا بالتدابير البارعة فحسب ، ولا بالألفاظ اللامعة وحدها ، بل بالفهم الصحيح للطبيعة الإنسانية ، فضلا عن أنه ذو خبرة بنوع الحادث الذى يقتضى الأمر اختراعه ليساعد على تجلية المعنى المراد .

ولا حاجة بنا بعد هذا جميعه إلى سوق الأمثلة على

ما اشتهر به مؤلفنا من جوامع الكلم التى يصوغها فى قالب النقائض والمفارقات ، فليس أكثر منها فى هذه المسرحية وخاصة الفصل الثالث ، وفى غيرها ، وهى ظاهرة لاخفاء بها بحيث لا تدع داعياً للتنبيه إليها والتنويه بها .

ونكتفى بهذا القدر للتعريف بالمؤلف ومسرحيته حتى لا نعوق كرام القراء أكثر مما عقناهم عن ورود النبع نفسه ، ذلك النبع الذى لا يغنى عنه تعريف زاد أو قل ، لأن مسرحية المؤلف هى وحدها المرجع وهى الأصل .

عبد الرحمن صدقى

أشخاص المسرحية

لورد وندرمير

« دارلنجتن

« أوجستس لورتن

مستر دمبي

« سيسيل جراهام

« هوبر

« باركر

ليدى وندرمير

دوقة بروك

ليدى أجاثا كارلايل

ليدى بليمديل

ليدى ستتفيلد

ليدى چيدبره

مسز كاوبر كاوبر

مسز إيرلن

روزالى — خادم

مناظر المسرحية

الفصل الأول : غرفة جلوس فى منزل لورد وندرمير
« الثانى : قاعة الاستقبال فى منزل لورد وندرمير
« الثالث : مسكن لورد دارلنجتن
« الرابع : نفس منظر الفصل الأول
الزمان : الوقت الحاضر
المكان : لنـــدن

تجرى حوادث المسرحية فى خلال أربع وعشرين ساعة مبتدئة الساعة الخامسة من مساء يوم الثلاثاء ، ومنتهية فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم التالى .

الفصل الأول

المنظر

غرفة جلوس فى بيت لورد وندرمير . أبواب فى المنتصف وإلى اليمين . منضدة للكتابة إلى اليمين عليها كتب وأوراق . إلى اليسار أريكة أمامها منضدة صغيرة للشاى . نافذة مفتوحة على الشرفة يساراً . منضدة إلى اليمين .

[ليدى وندرمير ترتب وروداً فى آنية زهر زرقاء اللون ، موضوعة على منضدة اليمين]

[يدخل باركر]

باركر : هل سيادتك موجودة بالمنزل الآن ، وطوال هذا المساء ؟

ليدى وندرمير : أجل — من جاء يطلبنى ؟

باركر : لورد دارلنجتن يا سيدتى .

ليدى وندرمير : [تتردد لحظة] إصعد به إلىّ — وإننى موجودة بالبيت لكل من يطلبنى .

باركر : أمرك يا سيدتى . [يخرج من باب المنتصف]

ليدى وندرمير : إنه لأوفق لى أن أراه قبل الليل . أنا مغتبطة بمقدمه [يدخل باركر من المنتصف]

باركر : لورد دارلنجتن

[يدخل لورد دارلنجتن من المنتصف] [يخرج باركر]

لورد دارلنجتن : كيف حالُكِ ليدى وندرمير ؟

ليدى وندرمير : كيف حالكَ لورد دارلنجتن ؟ لا — لا أستطيع مصافحتك . يداى مبتلتان بماء هذى الورود . أو ليست بديعة ؟ لقد جاءتنا من « سلبى » صباح اليوم .

لورد دارلنجتن : إنها غاية فى الحسن . [يبصر بمروحة مستلقية على المنضدة] أية مروحة رائعة ! هل لى أن أحظى بنظرة إليها ؟

ليدى وندرمير : إفعل . بديعة أليس كذلك ! إنها تحمل اسمى . لقد رأيتها أنا نفسى الآن فقط . إنها هدية زوجى إلىَّ بمناسبة عيد ميلادى . تعلم أن اليوم عيد ميلادى ؟

لورد دارلنجتن : لا ؟ أهو حقاً ؟

ليدى وندرمير : أجل — بلغتُ الحُلُمَ اليوم باستكمالى الواحدةَ والعشرين . يوم بالغ الأهمية فى حياتى . أليس كذلك ؟ لهذا أقيم حفلة استقبال هذه الليلة . ألا جلست .

[ما تزال مستمرة فى ترتيب الأزهار]

لورد دارلنجتن : [جالساً] ليته سبق إلى علمى أن اليوم عيد ميلادك ليدى وندرمير . إذن لفرشت كل الشارع المترامى أمام بيتك بالزهور لتمشى عليها . لقد خُلِقتْ من أجلك [فترة صمت قصيرة] .

ليدى وندرمير : لورد دارلنجتن ، لقد ضايقتنى الليلة البارحة فى مبنى وزارة الخارجية ، أخشى أن تكون مقبلا على مضايقتى ثانية .

لورد دارلنجتن : أنا ، يا ليدى وندرمير ؟

[يدخل باركر من باب المنتصف ومعه تابع من خدم المائدة يحمل أدوات الشاى على صينية خاصة].

ليدى وندرمير : ضعها هناك باركر . ذلك يكفى . [تمسح يديها بمنديل جيبها ثم تذهب إلى منضدة الشاى يساراً وتجلس] ألا تأتى هنا لورد دارلنجتن ؟

[يخرج باركر من المنتصف]

لورد دارلنجتن : [يأخذ كرسيا ويعبر به إلى المنتصف يساراً] إنى مبتئس تماماً ليدى وندرمير . يجب أن تخبرينى ماذا فعلت [يجلس إلى المنضدة اليسرى]

ليدى وندرمير : حسن ، قضيت الأمسية كلها فى تنميق عبارات الإطراء لى .

لورد دارلنجتن : [مبتسما] آه ، نحن جميعاً فى أيامنا هذه من الضيق بحيث لا نملك ما نمنحه غير الإطراء .

ليدى ندرمير : [هازة رأسها] لا إنى جادة فيما أقول . يجب ألا تضحك إنى جادة حقاً . أنا لا أحب المديح ، ولا أجد مدعاة لأن يزعم الرجل من الرجال أنه يسر امرأة سروراً بالغاً ، حين يردد على سمعها أقوالا لا يعنيها ولا هو بالجاد فيها .

لورد دارلنجتن : آه ، ولكننى عنيتُ كل ما كنت أقول

[يأخذ الشاى الذى تقدمه له]

ليدى وندرمير : [فى جد واهتمام] آمل ألاَّ يكون الأمر كذلك . يؤسفنى أن أضطر إلى الاختلاف معك لورد دارلنجتن . أنا آنس إليك كثيراً ، أنت تعلم ذلك . ولكنى ما كنت لآنس إليك أبداً لو دار فى خلدى أنك مثل معظم الرجال الآخرين . صدقنى إنك لتفضلهم ، وإنى لأتصور أحيانا أنك إنما تتظاهر عامداً أنك أسوأ منهم .

لورد دارلنجتن : لكل منا أهواؤه الصغيرة ليدى وندرمير .

ليدى وندرمير : ولماذا تجعل تلك من هواك خاصة ؟

[لا تبرح جالسة إلى المنضدة اليسرى]

لورد دارلنجتن : [لا يبرح جالساً مكانه] أوه فى هذه الأيام ، يغشى المجتمع أدعياء كثيرون متظاهرين بالطيبة ، حتى بدا لى أن أدُلَّ على دماثتى وتواضعى بأن أتظاهر بالسوء . وهناك إلى جانب ذلك ماهو جدير بالذكر ، وهو أنكِ إذا تظاهرت بالطيبة ، حاسبك الناس حسابا عسيرا ، وهم لا يحاسبونك هذا الحساب إذا تظاهرتِ بالسوء . وهنا يظهر لك مبلغ الغباوة فى مذهب القائلين باستعلاء الخير .

ليدى وندرمير : فأنت إذن لا تريد أن يأخذك الناس مأخذ الجد يا لورد دارلنجتن ؟

لورد دارلنجتن : لا . ليس يعنينى الناس . فمن هم أولئك الذين يأخذهم الناس مأخذ الجد ؟ إنهم كل الأغبياء الذين يمكن أن يخطروا لنا على بال ، من الأساقفة فى العلياء ثم نازلا حتى يصل إلى درك الثقلاء . إنما الذى أحبه هو أن تأخذينى أنت ليدى وندمير مأخذ الجد ، أنت ، أكثر من أى شخص آخر فى هذه الحياة .

ليدى وندرمير : لماذا — لماذا أنا ؟

لورد دارلنجتن : [بعد تردد يسير] لأنى أعتقد أن من الممكن أن نكون جد أصدقاء . فلنكن جد أصدقاء . فقد تحتاجين إلى صديق يوماً ما .

ليدى وندرمير : لماذا تقول ذلك ؟

لورد دارلنجتن : أوه ! — كلنا فى الحين بعد الحين ، نحتاج إلى أصدقاء .

ليدى وندرمير : أظن أننا بالفعل صديقان حميمان يا لورد دارلنجتن . وبوسعنا أن نظل كذلك طالما أنك لا ...

لورد دارلنجتن : لا ، ماذا ؟

ليدى وندرمير : لا تفسد صداقتنا بترديدك على سمعى أشياء فيها الكثير من المبالغة والسَّرف . أنت تعتدنى متزمته . حسن ، بى شىء من خصائص المتزمتين . لقد نشأت على ذلك وإنى لسعيدة به . لقد ماتت أمى وأنا طفلة لا تعى . فعشت لا أبرح ليدى چوليا أخت أبى الكبرى كما تعلم . كانت صارمة فى تنشئتى ، ولكنها علمتنى ما الناس عنه غافلون ،

علمتنى ما هنالك من فارق وبون شاسع بين الصواب والخطأ . كانت لا تتخذ فى أحكامها موقفاً وسطاً . كذلك أنا .

لورد دارلنجتن : يا عزيزتى ليدى وندرمير !

ليدى وندرمير : [تتراجع إلى الخلف بظهرها فتسنده إلى مسند الأريكة] تنظر إلىّ كما لو كنت رجعية. حسن ، إنى لكذلك ! ولشد ما كنت آسف لو أننى كنت من بنات جيلٍ كهذا .

لورد دارلنجتن : أتجدين هذا الجيل فاسداً مفرطاً فى الفساد ؟

ليدى وندرمير : نعم . يبدو أن الناس هذه الأيام يعتبرون الحياة صفقة يستغلونها . وما الحيـاة بصفقة . ما هى بتجارة . إن هى إلا سر مقدس . مطلبها الأسمى هو الحب ، وطُهرها فى التضحية .

لورد دارلنجتن : [مبتسما] أوه ، لأفضلن أى شىء على أن أكون ضحية !

ليدى وندرمير : [تعود فتميل إلى الأمام] لا تقل ذلك .

لورد دارلنجتن : بل أقوله . إنى أحسه — إنى أعرفه .

[يدخل باركر]

باركر : يريد الخدم أن يعرفوا ما إذا كان عليهم

أن يفرشوا الشرفة بالأبسطة استعداداً لحفلة الليلة يا سيدتى ؟

ليدى وندرمير : أتراها لا تمطر الليلة يا لورد دارلنجتن ؟ أم ترى غير ذلك ؟

لورد دارلنجتن : لا أتصور أنها تمطر فى عيد ميلادك .

ليدى وندرمير : قل لهم أن يفرشوا الأبسطة فى الحال يا باركر .

[يخرج باركر]

لورد دارلنجتن : [لا يبرح جالساً] هـــل تظنين إذن — بالطبع أنا أسوق إليك مثالا خيالياً — هل تظنين أنه فى حالة زوجين فى ريعان الصبا ، تزوجا ، لنقل منذ عامين أو نحو ذلك ، فإذا الزوج أصبح فجاءة الصديق المقرب لامرأة ذاتِ ، — لِنَقُلْ ذات خلق أكثر من مريب — فهو دائم الزيارة لها والتغدى معها ، ومن المرجح أنه يدفع عنها صكوك مشترياتها ، أتظنين أن زوجته لا حق لها فى أن تفعل ما فيه العزاء لها والتسرية عن نفسها ؟

ليدى وندرمير : [مكفهرة] العزاء لها والتسرية عن نفسها !

لورد دارلنجتن : نعم ، أعتقد أنها يجب أن تفعل . أظن أن لها الحق فى ذلك .

ليدى وندرمير : ألأن الزوج سافلٌ ، يجب أن تكون الزوجة سافلة أيضاً ؟

لورد دارلنجتن : السفالة كلمة مفزعة ليدى وندمير .

ليدى وندرمير : وإنه لشىء مفزع يا لورد دارلنجتن .

لورد دارلنجتن : تعرفين ، إنى أخشى أن يُلحق الصالحون بهذه الدنيا أبلغ الأذى . وإن أفدح ما يتسببون فيه من الأذى ، هو أنهم يجعلون للفساد كل هذا الشأن الخطير . إنه لخطل فى الرأى أن نقسّم الناس إلى صالح وطالح . الناس إما ظريف وإما ممل . وأنا متعصب للظرفاء ، وأنت ليدى وندرمير لا يمكنك إلا أن تكونى فى عدادهم .

ليدى وندرمير : وبعد ، لورد دارلنجتن [تنهض ثم تعبر إلى جهة اليمين من أمامه] لا تتحـــرك من مكانك ، إنما أنا ذاهبة لأتم تنسيق أزهارى . [تذهب إلى المنضدة فى منتصف اليمين]

لورد دارلنجتن : [ينهض ويزيح كرسيا] ثم إنه يجب علىّ أن أقول إنى أجدك جد قاسية على الحياة العصرية ، ليدى وندرمير . بالطبع هناك

الكثير مما يؤخذ عليها، أسلم بذلك . معظم النساء مثلا أقرب إلى الارتزاق .

ليدى وندرمير : لا تتحدث عن مثل هؤلاء .

لورد دارلنجتن : حسن إذن ، لنضرب صفحاً عن أولئك المرتزقات اللائى هن بالطبع شنيعات . فهل تعتقدين فى جد أن النساء اللواتى اقترفن ما يسميه العالم خطيئة ، لا يصح أن يغتفر ذلك لهن أبدا ؟

ليدى وندرمير : [واقفة إلى المنضدة] أرى أنه لا يصح أن يُغتفر ذلك لهن أبداً .

لورد دارلنجتن : والرجال ؟ أتعتقدين أنه يجب أن يؤخذ الرجال بنفس القوانين التى تؤخذ بها النساء ؟

ليدى وندرمير : بكل تأكيد .

لورد دارلنجتن : أعتقد أن الحياة أكثر تعقداً من أن تحل مشكلها مثل هذه القواعـــد القاسية الجامدة .

ليدى وندرمير : لو أننا أخذنا بهذه القواعد القاسية الجامدة ، لضمنا حياة أقل تعقداً وأكثر بساطة .

لورد دارلنجتن : أو لا تسمحين بأى استثناء ؟

ليدى وندرمير : ولا بواحد .

لورد دارلنجتن : آه ، أية متزمتة فاتنة أنت ليدى وندرمير !

ليدى وندرمير : لم تكن ثمة ضرورة للصفة الأخيرة يا لورد دارلنجتن .

لورد دارلنجتن : لم يكن لىَ الخيار . إنى أستطيع مقاومة كل شىء إلا الإغراء .

ليدى وندرمير : أنت مصاب بمرض العصر ، أعنى التظاهر بالضعف .

لورد دارلنجتن : [ناظراً إليها] إنه لمجرد تظاهر ، ليدى وندرمير .

[يدخل باركر]

باركر : دوقة بِروِك . وليدى أجاثا كارلايل .

[تدخل دوقة بروك وليدى أجاثا كارلايل من باب الوسط] .

[يخرج باركر]

دوقة بروك : [تنزل إلى المنتصف ، وتصافح ليدى وندرمير] عزيزتى مارجريت ، كم أنا مسرورة برؤيتك . تذكرين أجاثا أليس كذلك ؟ [عابرة إلى يسار المنتصف] كيف حالك لورد دارلنجتن ؟ لن أدعك تعرف ابنتى . إنك شقى مفسد إلى أبعد حد .

لورد دارلنجتن : لاتقولى ذلك يادوقة ، فما أنا بين المفسدين إلا أفشل الفاشلين . كيف لا ، وثمة خيبة ما بعدها خيبة . خلق كثيرون يقولون إننى فى الواقع لم آت سيئة واحدة طوال أيام حياتى . وهم طبعاً لايقولون ذلك أمامى .

دوقة بروك : أوليس مرعبا هذا السيد ؟ أجاثا ، هذا لورد دارلنجتن . انتبهى لنفسك ولا تصدقى كلمة واحدة مما يقول [لورد دارلنجتن يعبر إلى يمين المنتصف] لا . لاأريد شاياً أشكرك يا عزيزتى [تعبر وتجلس على الأريكة] لقد فرغنا توًّا من تناول الشاى عند ليدى ماركبى ، وما كان أردأه من شاى . لقد كان غير قابل للشرب كلية . ولم يدهشنى ذلك أبدا . فابن زوجها هو الذى يزودها به . أجاثا تنتظر بفارغ الصبر حفلتك الراقصة التى تقيمينها الليلة يا عزيزتى مارجريت .

ليدى وندرمير : أوه أرجو ألاَّ تنتظرى أن تكون حفلة راقصة بمعنى الكلمة يادوقة . إن هى إلا رقصة للاحتفال بعيد ميلادى . حفلة صغيرة ومبكرة .

لورد دارلنجتن : [واقفاً عند يسار المنتصف] صغيرة جداً ، ومبكرة جداً ، ومنتقاة جدا يا دوقة .

دوقة بروك : (على الأريكة مسامراً) بالطبع ستكون منتقاة . فنحن إنما نعرف ذلك ياعزيزتى مارجريت عن بيتك . إنه فى الحق بيت من البيوتات القليلة فى لندن التى أرتضى أن أصطحب إليها ابنتى أجاثا ، وآمن فيها على زوجى العزيز بروك كل الأمان . لست أدرى إلى أى مصير يصير المجتمع . لكأنى بأشنع الناس وأفظعهم يذهبون إلى كل مكان . ولا شك عندى فى أنهم يغشون ندواتى . إن الرجال يغضبون أشد الغضب إذا لم توجَّه الدعوة إليهم — حقا يجب أن تقف إحدانا فى وجه هذا التيار .

ليدى وندرمير : سأفعل أنا ذلك يا دوقة . سوف لا أدعو أحداً عَلِقَتْ بسمعته كلمة سوء .

لورد دارلنجتن : أوه ، لا تقولى ذلك ليدى وندرمير . وإلا لما أذن لى بالدخول إلى هنا أبداً [جالساً]

دوقة بروك : أوه ليس على الرجال فى ذلك من بأس .

أما فيما يخص النساء فالأمر مختلف . نحن صالحات . بعضنا كذلك على الأقل. ولكننا فى الواقع نُنَحَّى جانبا فى ركن قصى . وإن أزواجنا لينسون حتى مجرد وجودنا ، لولا مضايقتنا إياهم من آونة لأخرى لتذكيرهم بأن ذلك من حقنا المشروع عليهم .

لورد دارلنجتن : من الأشياء العجيبة فى الزواج يا دوقة — وهو بهذه المناسبة لعبة أوشكت أن تبطل جدتها وتصبح طرازاً عتيقاً غير مستظرف — تحتفظ الزوجات بكل الأوراق الرابحة ، ولكنهن فى جميع الأحوال يخسرن الورقة المفردة المتبقية .

دوقة بروك : الورقة المفردة المتبقية ؟ أتعنى بهذا الزوج يا لورد دارلنجتون ؟

لورد دارلنجتن : إنها أوفق اسم يطلق على الزوج العصرى.

دوقة بروك : عزيزى لورد دارلنجتن . ما أبعد ما انتهيت إليه من فساد الطبع والمجون .

ليدى وندرمير : لورد دارلنجتن رجل عابث .

لورد دار لنجتن : آه لاتقولى ذلك ليدى وندرمير .

ليدى وندرمير : ليم إذن تتحدث عن الحياة بمثل هذا العبث؟

لورد دار لنجتن : لأنى أعتقد أن الحياة من الأهمية البالغة ، بحيث لا يصح أن يتناولها قول جِدّىّ .
[يتحرك صاعد إلى المنتصف] .

دوقة بروك : ماذا يعنى ؟ أرجو تفضلا منك يا لورد دار لنجتن أن تشرح لى فقط ما تعنيه .

لورد دار لنجتن : [يتحرك إلى وراء المنضدة] أظن الأجدر بى ألاّ أفعل يادوقة . فإن الإنسان فى هذه الأيام إذ قال كلاما مفهوما ، فضحه الناس . إلى الملتقى ! [يصافح الدوقة] والآن — [يصعد إلى مؤخرة المسرح] ليدى وندرمير ، إلى الملتقى . يمكننى المجىء الليلة ، أليس كذلك ؟ أرجو أن تسمحى لى بالمجىء .

ليدى وندرمير : [واقفة فى مؤخرة المسرح مع لورد دار لنجتن] نعم بالتأكيد . لكن من غير المسموح لك أن تقرع أسماع الناس بترهاتك وأباطيلك .

لورد دار لنجتن : [مبتسما] آه ! ها أنت ذى بادئة فى إصلاحى وتقويمى ، من الخطر بمكان إصلاح أى إنسان يا ليدى وندرمير .
[ينحنى ثم يخرج من باب المنتصف] .

دوقة بروك : [وكانت قد وقفت تذهب إلى المنتصف]
ما أخف ظله هذا الشرير ! كم أحبه .

لقد سرنى رحيله ! ما أجمل ما تبدين ! من أين تحصلين على أثوابك ؟ والآن لا بد لى من أن أعرب لك عن مدى أسفى من أجلك أيتها العزيزة مارجريت .

[تعود إلى الأريكة وتجلس مع ليدى وندرمير]

أجاثا يا حبيبتى .

ليدى أجاثا : نعم « ما ما »[تنهض]

دوقة بروك : ألا تذهبين فتتفرجين على مجموعة الصور الشمسية ذاك الذى أراه هناك ؟

ليدى أجاثا : نعم « ماما »[تذهب إلى يسار مؤخرة المنصة]

دوقة بروك : بنت محببة ! إنها شديدة الولع بصور سويسرا . هذا من حسن الذوق على ما أعتقد . ولكننى فى الحق شديدة الأسف من أجلك يا مارجريت .

ليدى وندرمير : [مبتسمة] لماذا يا دوقة ؟

دوقة بروك : أوه ، من جراء تلك المرأة النكراء . إنها تحرص كل الحرص على حسن هندامها مما يجعلها مثلا يحتذى ، وهو أمر يزيد الطين بله . أوجستس — أخى السيء السمعة كما تعلمين ، وهو وصمة ومحنة لنا جميعاً — القصد ، أوجستس مفتون

بها كل الافتنان . وهو أمر فاضح حقاً تلوكه ألسن الناس ، لأنها منبوذة كل النبذ من المجتمع . لكم من امرأة لها ماض ، ولكنه قيل لى إن لهذه « دستة » — إثنى عشر عشيقاً على الأقل ، وإنهم جميعاً أكفاء صالحون .

ليدى وندرمير : عمن تتحدثين يا دوقة ؟

دوقة بروك : عن مسز إيرلن .

ليدى وندرمير : مسز إيرلن ؟ لم أسمع عنها أبداً يا دوقة . وما شأنى بها ؟

دوقة بروك : يا طفلتى المسكينة ! أجاثا يا حبيبتى !

ليدى أجاثا : نعم « ماما »

دوقة برك : ألا تخرجين إلى الشرفة وتشاهدين غروب الشمس ؟

ليدى إجاثا : نعم « ماما » [تخرج من باب الشرفة جهة اليسار]

دوقة بروك : بنية لطيفة ! متعلقة جداً بمناظر الغروب . هذا ينم على رقة حس متناهية أليس كذلك ؟ وعلى كل حال ، فالطبيعة لا يعدل جمالها جمال . أثمة ما يضارعها ؟

ليدى وندرمير : لكن ما القصد يا دوقة ؟ لماذا تكلمينى عن هذه المرأة التى لا أعرفها ؟

دوقة بروك : أفى الحق أنك لا تعلمين شيئاً ؟ أؤكد لك إنه أمرٌ أصابنا جميعاً بأسًى بالغ . الليلة البارحة فقط ، وكنا عند عزيزتنا ليدى چانسن ، كان كل من هنالك يتعجبون أشد العجب من أن يكون وندرمير — من بين رجال لندن جميعاً — هو الذى يتصرف مثل هذا التصرف .

ليدى وندرمير : زوجى — وما شأنه بأية امرأة من هذا القبيل ؟

دوقة بروك : حقيقة ياعزيزتى ماشأنه بها ؟ تلك هى المسألة . إنه لاينقطع عن الذهاب لرؤيتها ، وفى كل مرة يقضى عندها الساعات ، وظالما كان موجوداً هناك يُنكر وجودها بالبيت عن الناس أجمعين . ولا يعنى هذا أن سيداتٍ كثيراتٍ يزرنها ياعزيزتى ، لكن لها من الرجال ذوى السمعة السيئة عدداً عديداً من الأصدقاء — وأخصهم أخى كما قلت لك — وذلك ما يجعل الأمر فظيعاً بالنسبة لوندرمير . كنا نعتقد أنه خيرُ مثال للزوج ، ولكننى أشفق من أنه لاسبيل إلى الشك

فى صحة ما هو منسوبٌ إليه . بنات أخى العزيزات — تعرفينهن أليس كذلك ؟ تلك المخلوقات الأليفة الظريفة — ساذجات ، ساذجاتٌ بشكل مروع ، ولكنهن جِدُّ طيبات — القصد ، هن دائما جالساتٌ عند النافذة ، يشتغلن بالتطريز ، ويصنعن من أجل الفقراء أشياء قبيحة ، أعتقد أنها ذات نفع كبير فى هذه الأيام الرهيبة الاشتراكية الداعية إلى المساعدات الاجتماعية . وهذه المرأة النكراء ، اختارت لسكنها منزلا فى شارع كيرزن ، فى مواجهتهن تماماً — وياله كذلك من شارع محترم ! لستُ أدرى إلى أى مصيرٍ نحن صائرون ! وقد رَوَين لى أن وندرمير يذهب إلى هناك أربع مرات أو خمسا فى الأسبوع — إنهن يرينه . ولا حيلة لهن فى غير ذلك — بالرغم من أنهن لا يسرحن فى أعراض الناس ولا يتقولن البتة على أحد ، فانهن بالطبع — ماذا أقول — لا يكففن عن التلميح بذلك إلى كل إنسان .

والأدهى من هذا ما بلغنى من أن هذه المرأة حصلت على جملة كبيرة من المال من شخص ما ، لأنهـا فيما أعتقد ، جاءت إلى لندن منذ ستة أشهر وهى لا تكاد تملك شيئاً يذكر . والآن تسكن هذا البيت الساحر فى « ما يفير » وتسوق أمهارها عصر كل يوم فى المتنزه ، وكل هذا — كل هذا منذ أن وقعت على العزيز وندرمير المسكين .

ليدى وندرمير : أوه لا أستطيع أن أصدق هذا .

دوقة بروك : لكنها الحقيقة تماماً يا عزيزتى . كل لندن تعرفها . وهذا هو السبب فى شعورى بأنه من الأفضل أن آتىَ فأحدثك فى الأمر ، وأنصحك بأن تأخذى معك وندرمير وتبادرى بالرحيل إلى « هامبرج » أو إلى « إيكس » ، حيث يكون له حتما بعض ما يلهيه ويسرى عنه ، ويكون من الميسور لك أن تراقبيه طوال النهار . أؤكد لك يا عزيزتى ، أنى عرَضتُ لى ظروف عديدة أول زواجى جعلتنى أتظاهر بالمرض الشـديد ، ومن ثم

اضطررت اضطراراً إلى شرب أقبح المياه المعدنية مذاقاً . وكل هذا فى سبيل البعد بزوجى عن لندن . لقد كان بروك سريع التأثر بفتنة النساء . ولكنى أرى لزاماً علىّ أن أقرر أنه لم يبذر قط على إحداهن أية مبالغ طائلة من المال ؛ إن خلائقه المتسامية جداً ، تترفع به عن هذا الفعل .

ليدى وندرمير : [مقاطعة] يا دوقة ، يا دوقة ، هذا مستحيل .

[تنهض وتعبر المسرح إلى المنتصف] لم يمض على زواجنا غير عامين . طفلنا لم يتجاوز ستة أشهر . [تجلس على الكرسى فى يمين المنضدة اليسرى]

دوقة بروك : آه ، يا للطفل العزيز الجميل ! كيف حال الحبيب الصغير ؟ أهو ولد أم بنت ؟ لعله أن يكون بنتاً — آه الآن تذكرت . إنه ولد ! أنا شديدة الأسف . الأولاد أشرار بطبعهم . إن ولدى لا خلاق له على الإطلاق . إنك لا تصدقين فى أية ساعة يعود إلى البيت .

هذا مع أنه متخرج فى أكسفورد منذ أشهر قلائل — إننى فى الحق لا أدرى ماذا يعلمونهم هناك .

ليدى وندرمير : أجميع الرجال إذن أشرار ؟

دوقة بروك : أوه ، جميعهم يا عزيزتى ، جميعهم ، بغير استثناء . وهم لا يتحسنون قط . إن الرجال يصيرون شيوخاً ، ولكنهم لا يصيرون أخياراً .

ليدى وندرمير : وندرمير وإنا تزوجنا عن حب .

دوقة بروك : نعم . ونحن قد بدأنا كذلك . إن تهديد بروك ، تهديده العنيف المتواصل بالانتحار هو الشىء الوحيد الذى جعلنى أقبل الزواج منه ، وقبل أن يمرَّ على زواجنا عام ، كان لا يتوقف عن الجرى على آثار كل صنف من النساء . كل لون ، وكل شكل ، وكل قماش . وأصدقك القول إننى من قبل أن ينتهى شهر العسل ، ضبطته يغمز بعينه لخادمتى ، وكانت فتاة فى غاية الجمال والكمال . طردتها فى الحال دون أن أعطيها شهادة بحسن السيرة — لا ، بل

تذكرت الآن ، خلعتهـا على أختى وحسبتُ ألا بأس عليها فى ذلك ، إذ أن زوجها سيرچون المسكين ضعيف البصر . ومع ذلك فقد جاء الأمر على غير ما حسبت — كان فيه أعظم البلية . [تنهض] والآن يا صغيرتى العزيزة يجب أن أنصرف بما أننا سنتناول العشاء خارج البيت . إياك أن تبالغى فى التألم لتلك النزوة الصغيرة من وندرمير . إرحلى به تواً وستجدينه يرتد إليك سالماً.

ليدى وندرمير : يرتد إلىّ ؟ [فى الوسط]

دوقة بروك : [فى الوسط إلى اليسار] نعم يا عزيزتى ، هؤلاء النسوة الشريرات يقصين عنا أزواجنا ، ولكن أزواجنا يعودون دائماً إلينا ، مع بعض التلف طبعاً . وإياك والمشاحنات فالرجال بمقتونها !

ليدى وندرمير : إنه فضل منك يادوقة أن تجيئى فتخبرينى بكل ذلك . ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن زوجى غير وفىٍّ لى .

دوقة بروك : يا للطفلة الجميلة ! لقد كنت يوماً حسنة الظن مثلك . والآن فاعلمى أن جميع

الرجال حيوانات ممسوخة من عجائب المخلوقات . [ليدى وندرمير تقرع الجرس] ولا حيلة مع أولئك التعساء إلا إشباع بطونهم . إن طاهياً ماهراً يصنع العجائب ، وذلك موفور لديك كما أعلم . عزيزتى مارجريت . أرجو ألا تستسلمى للبكاء ؟

ليدى وندرمير : اطمئنى يا دوقة إنى لا أبكى أبدا .

دوقة بروك : هذا عين الصواب يا عزيزتى . فالبكاء ملاذ للعاطلات من الجمال ، ودمار للجميلات . أجاثا يا حبيبتى !

ليدى أجاثا : [داخلة من اليسار] نعم « ماما » . [واقفة خلف وسط المنضدة اليسرى]

دوقة بروك : تقدمى ودعى ليدى وندرمير ، واشكريها على زيارتك اللطيفة . [تعود فتنزل نحو المقدمة ثانية] .

وبالمناسبة أرى من واجبى أن أؤدى لك الشكر على إرسالك بطاقة دعوة إلى مستر هوبر — إنه ذلك الشاب الموسر ، الذى يحظى باهتمام المجتمع الأسترالى فى الوقت الحاضر . لقد أثرى أبوه ثراء عظيما

من بيعه نوعاً من الأطعمة المحفوظة
فى صفائح مدوّرة — غذاء شهى إلى
حد كبير على ما أعتقد — يخيل إلىّ
أنه ذلك شىء الذى يرفض الخدم
دائماً أن يأكلوه . ولكن الابن له شأنه
وقيمته . أظنه قد جذبه مافى حديث
ابنتى العزيزة أجاثا من لباقة وبراعة .
وبالطبع سنكون آسفين غاية الأسف
لافتقادنا إياها . ولكنى أومن بأن الأم
التى لاتدع ابنتها تفارقها فى الحين بعد
الحين ، لا تنطوى لها على حب صميم .
نحن آتيتان الليلة يا عزيزتى . [باركر يفتح
أبواب المنتصف] واذكرى نصيحتى ، خذى
صاحبنا المسكين وارحلى به عن المدينة
فى الحال . هذا وحده هو ما يجب فعله .
إلى اللقاء مرة أخرى . هيا يا أجاثا .

[تخرج الدوقة مع ليدى أجاثا من باب الوسط]

ليدى وندرمير : ما أفظع ماسمعت ! فهمت الآن ماكان
يعنيه لورد دارلنجتن بحكايته الخيالية
التى ساقها على سبيل المثال . حكاية
الزوجين اللذين لم يمض على زواجهما

العامان . أوه ! لا يمكن أن يكون ذلك صحيحا — لقد تحدثت الدوقة عن مبالغ طائلة من المـــال دُفعت لهذه المرأة . أعرف أين يضع آرثر « دفتره » المصرفيّ الخاص به — فى واحدٍ من أدراج هذا المكتب . قد أستطيع معرفة الحقيقة باطّلاعى عليه ؛ سأعرف الحقيقة . [تفتح درجا] لا ، بل إنه لخطأ فاحش إن فعلت . [تنهض وتذهب إلى المنتصف] فرية حمقاء . إنه يحبنى ! ولكن لماذا يتحتّم علىّ الامتناع عن النظر فى «الدفتر» ؟ إنى زوجته ، ولى الحق فى الاطلاع ! [ترجع إلى المكتب ، تستخرج منه دفترا ، وتتفحصه صفحة فصفحة ، ثم تبتسم وتتنفس الصعداء] كنت على يقين من ذلك ! ليس فى كل هذه القصة السخيفة كلمة واحدة عليها ظل من الحقيقة [تعيد الدفتر إلى الدرج وبينما هى تفعل ذلك ، تجفل ، ثم تستخرج دفترا مصرفيا آخر] دفـــتر ثان — خاص — مغلق ! [تحاول أن تفتحه ولكنها تخفق . ثم ترى سكينا لقطع الورق على

المكتب ، فتتناولها وتقطع بها الغلاف من الظهر ، ثم تبدأ فى تصفح «الدفتر» من صفحته الأولى]

مسز إيرلن ٦٠٠ جنيه — مسز إيرلن — ٧٠٠ جنيه — مسز إيرلن — ٤٠٠ جنيه أوه ! إنه لصحيح . ما أفظع ذلك

[تلقى « بالدفتر » على أرض الغرفة]

[يدخل لورد وندرمير من باب المنتصف]

لورد وندرمير : ها نحن أولاء يا عزيزتى . أما وصلت بعدُ المروحة التى أرسلتُها إلى البيت ؟

[ذاهباً إلى يمين المنتصف . يرى دفتر المصرف]

مارجريت ، لقـــد فتحت « دفترى » المصرفى الخاص بى . ليس لكِ الحق فى أن تفعلى مثل تلك الفعلة !

ليدى وندرمير : تعد من الخطأ أن يفتضح أمرك ، أليس كذلك ؟

لورد وندرمير : أعد من الخطأ أن تتجسس زوجة على زوجها .

ليدى وندرمير : أنا لم أتجسس عليك . إنى لم أكن أعلم بوجود هذه المرأة قبل نصف ساعة مضت. أشفق علىّ مشفق فشاء له عطفه أن يعلمنى بما قد علم به كل إنسان فى

لندن – زياراتك اليومية لشارع كيرزن ، إفتتانك الجنونى ، المبالغ الهائلة التى تبعثرها بغير حساب على هذه المرأة السيئة الشهرة ! [عابرة إلى اليسار]

لورد وندرمير : مارجريت ! لا تتكلمى هكذا عن مسز إيران . أنت لا تعرفين مقدار ما فى قولك من ظلم .

ليدى وندرمير : [مستديرة إليه] إنك لشديد الغيرة على كرامة مسز إيران وشرفها . وددت لو كان بك مثل هذه الغيرة على كرامتى .

لورد وندرمير : كرامتك ! كرامتك لم تمس يا مرجريت . لا تعتقدى لحظة واحدة أننى – [يعيد « الدفتر » إلى مكانه فى الدرج]

ليدى وندرمير : أعتقد أنك تنفق أموالك على نحو غريب . هذا كل ما فى الأمر . أوه ! لا تحسبن اهتمامى للمال . إنى أقول لك فيما يتعلق بى إنك تستطيع أن تبدد كل ما لدينا . ولكن الذى أهتم له ، هو أنك أنت ، أنت الذى أحببتنى ، أنت الذى علمتنى أن أحبك ، تنصرف عن القلب الذى يُعطى منحة ، إلى القلب الذى يُشترى

بالثمن . أوه ، إنه لشئ فظيع [يجلس على الأريكة] وهى أنا التى تعانى ألم المهانة ! وأنت لا تعانى شيئاً . أنا التى لحقها العار بل اشتمل عليها . إنك لا تستطيع أن تتصور الشناعة التى تتراءى لى بها الآن تلك الشهور الستة التى خلت — إن كل قبلة من قبلاتك الماضية تتمثل فى خاطرى وصمة ملوثة .

لورد وندرمير : [يتقدم إليها] لاتقولى ذلك يامارجريت . فما أحببت فى هذا العالم أحداً سواك .

ليدى وندرمير : [تنهض] فمن تكون هذه المرأة إذن ؟ لمَ اتخذت بيتا لها ؟

لورد وندرمير : أنا لم أتخذ بيتاً لها .

ليدى وندرمير : أعطيتها المال لتتخذ هى بيتا ، فالأمر سواء .

لورد وندرمير : مارجريت . على قدر ما عرفت عن مسز إيرلن —

ليدى وندرمير : وهل ثمة مستر إيرلن ؟ أم تراه خرافه ؟

لورد وندرمير : مات زوجها منذ سنين عديدة . وهى فى هذه الدنيا وحيدة .

ليدى وندرمير : ولا أقارب لها ؟ [فترة صمت]

لورد وندرمير : لا أحد .

ليدى وندرمير : هذا أشبه بالعجائب ، أليس كذلك ؟
[فى اليسار]

لورد وندرمير : [إلى يسار المنتصف] مارجريت ، كنت أقول لك — وإنى لأرجو أن تستمعى إلىّ — أقول إنى طوال معرفتى بمسز إيرلن ، لم أر منها إلا السيرة الحسنة . فإذا كانت من سنوات مضت —

ليدى وندرمير : [عابرة إلى أيمن المنتصف] لا أريد تفاصيل عن حياتها .

لورد وندرمير : [فى المنتصف] ما قصدت إلى أن أسمعك تفاصيل عن حياتها . إنما أريد فقط أن أقول لك هذا ، إن مسز إيرلن كانت يوما ما امرأة مكرمة ، محبوبة ، ومحترمة . وإنها من بيت طيب ، وقد تبوأت فى الحياة مكانة حسنة ، ثم فقدت كل شىء — رمت به إذا شئت ، وهذا .. يجعل الأمر أنكى وقعا وأشد مرارة . فالنكبات يحتملها الإنسان ، إنها تردعليه من الخارج ، إنها ضربات القدر . أما أن يقاسى الإنسان عواقب ماجنت يداه — آه ! — فهذه هى التى يحس المرء لذعها فى صميم

كيانه . حدث لها ماحدث قبل عشرين سنة مضت . كانت إذ ذاك فتاة يافعة ، وكان قد مضى على زواجها آنئذ أقل مما مضى على زواجك حتى الآن .

ليدى وندرمير : أنا لا يعنينى من أمرها شىء — ويحسن بك ألاّ تذكر هذه المرأة وتذكرنى فى نَفَس واحد . ليس ذلك من سلامة الذوق.

[جالسة إلى يمين المكتب]

لورد وندرمير : مارجريت ، فى مقدورك أن تنقذى هذه المرأة . إنها تنشد العودة إلى المجتمع ، وهى تناشدك أن تمدى لها يد العون .

ليدى وندرمير : أنا !

لورد وندرمير : نعم ، أنت .

ليدى وندرمير : كم هى صفيقة وقحة ! [فترة صمت]

لورد وندرمير : مارجريت ، إنما جئت أسألك معروفاً كبيراً ومنة عظيمة . وهأنذا لا أزال أسألك على الرغم من أنك كشفت ماحرصت على إخفائه عنك ، وهو إعطائى مسز إيرلن مبلغاً كبيراً من المال . إنى أسألك أن ترسلى لها دعوة إلى حفلتنا الليلة . [واقفاً عن يسارها]

ليدى وندرمير : إنك لمجنون [تنهض]

لورد وندرمير : أتوسل إليك . . . إن للناس أن يتقولوا عليها ، بل إنهم ليتقولون عليها بطبيعة الحال ، ولكنهم لا يعلمون علم اليقين شيئاً يؤخذ عليها . لقد غشيت بيوتاً شتى — ليست على أى حال مما تغشينه أنت ، أسلّم بذلك ، ولكنها — على كل حال — بيوتٌ يغشاها من يُسمَّيْن بنساء المجتمع فى هذه الأيام . غير أنها لا تقنع بذلك ، إنها تطمع فى أن تسمحى أنتِ باستقبالها ولو مرةً واحدة .

ليدى وندرمير : ليكونَ انتصارا لها على ما أعتقد ؟

لورد وندرمير : لا . بل لأنها تعلم أنك امرأةٌ فاضلة ، وأنها إذا ما جاءت إلى هنا مرة ، انفتحت أمامها الفرصة لتحيا حياة مستقبلة أسعد وأضمن مما سبق لها . إنها لن تبذل أىَّ مسعًى للاتصال بك بعدها . ألا تساعدين امرأة تحاول الرجوع إلى سواء السبيل ؟

ليدى وندرمير : كلا ! فالمرأة التى تندم حقاً ، لا تراودها البتة رغبةٌ فى الرجوع إلى المجتمع الذى حطمها أو شهد تحطيمها .

لورد وندرمير : أرجوك وألح فى الرجاء .

ليدى وندرمير : [عابرة إلى باب اليمين] أنا ذاهبة لارتداء ملابس العشاء ، وأرجو ألاّ تعود إلى ذكر هذا الموضوع مرة أخرى هذا المساء .

[ذاهبة إليه فى المنتصف] لعله قد خُيِّل إليك ، وقد عدمتُ الأبَ والأم ، أننى وحيدة فى الدنيا ، وأنك تستطيع أن تسومنى ما شئت . إنك لمخطئ . إن لى أصدقاء ، أصدقاء كثيرين .

لورد وندرمير : [فى أيسر المنتصف] مارجريت ، إنك تتكلمين بحماقة وطيش . أنا لا أريد مجادلتكِ ، بل ألح فى أن ترسلى دعوة لمسز إيرلن هذه الليلة .

ليدى وندرمير : [فى أيمن المنتصف] لن أفعل شيئاً من من ذلك [عابرة إلى يسار المنتصف]

لورد وندرمير : أوَ ترفضين ؟

ليدى وندرمير : كل الرفض .

لورد وندرمير : آه ، مارجريت ، افعلى ذلك إكراماً لى . إنها فرصتها الأخيرة .

ليدى وندمير : وما يعنينى من ذلك ؟

لورد وندرمير : ما أقسى النساء الفضليات !

ليدى وندرمير : ما أضعف الرجال الفاسدين !

لورد وندرمير : مارجريت ، ليس فينا نحن الرجال من يؤدى لزوجته كل ما ينبغي أن يؤديه لها — هذا حق لا مراء فيه — ولكنك يجب ألا تتصورى أنى فى لحظة ما — أوه ، مجرد التصور أمر فظيع !

ليدى وندرمير : ولماذا تكون أنت مختلفاً عن باقى الرجال ؟ لقد قيل لى إنه لايكاد يوجد زوج فى لندن ، لا يضيعُ حياته فى غرام معيب .

لورد وندرمير : لست واحداً من هؤلاء .

ليدى وندرمير : أصبحتُ لا أومن بدلك .

لورد وندرمير : بل أنت مؤمنة به فى قلبك . فلا تحفرى بيننا الهوة تلو الهوة . إن الله ليعلم مدى ما باعدت بيننا الدقائق القليلة الأخيرة . إجلسى فاكتبى الدعوة .

ليدى وندرمير : لا توجد فى العالم بأسره قوة تحملنى على فعل ذلك .

لورد وندرمير : [يعبر إلى المكتب] إذن فلأفعل أنا [يدق الجرس الكهربائى ثم يجلس ويكتب البطاقة]

ليدى وندرمير : إذن ، فستدعو هذه المرأة ؟ [عابرة إليه]

لورد وندرمير : نعم .

[فترة صمت . ثم يدخل باركر] باركر !

باركر : لبيك سيدى [ينزل حتى يصبح إلى يسار المنتصف]

لورد وندرمير : خذ هذه الرسالة وابعث بها إلى مسز إيرلن رقم ٨٤ شارع كيرزن [يعبر المسرح حتى يصبح إلى يسار المنتصف فيعطى باركر الرسالة] ليس للرسالة رد !

[يخرج باركر من باب المنتصف]

ليدى وندرمير : آرثر ، إذا أتت هذه المرأة إلى هنا ، لسوف أهينها .

لورد وندرمير : مارجريت ، لا تقولى ذلك .

ليدى وندرمير : إنى أعنى ما أقول .

لورد وندرمير : أيتها الطفلة ، لو أنك فعلت شيئاً من ذلك ، لما بقيت فى لندن سيدة واحدة لا ترثى لكِ .

ليدى وندرمير : بل لما بقيت سيدة فاضلة فى لندن لا تظهر تأييدها لى . لقد تراخينا كثيراً ولابد أن نقدم للناس مثالا يحتذى . ولقد أخذت على نفسى أن أبدأ الليلة .

[ملتقطة المروحة] نعم ، لقد أعطيتنى هذه المروحة اليوم . كانت هديتك لى بمناسبة عيد ميلادى . فإذا تخطت تلك المرأة عتبة دارى ، لأصفعن بها وجهها .

لورد وندرمير : مارجريت ، أنت لا تقدمين على مثل ذلك .

ليدى وندرمير : أنت لا تعرفنى ! [تتحرك إلى اليمين]
[يدخل باركر] باركر !

باركر : نعم يا سيدتى .

ليدى وندرمير : سأتناول عشائى فى حجرتى الخاصة . فى الحقيقة لا أريد عشاء . إحرص على أن يكون كل شىء معداً قبل انتصاف الحادية عشرة . واعمل يا باركر على أن تنطق أسماء الضيوف بوضوح هذه الليلة . فأنت فى بعض الأحيان تنطقها بسرعة لا يسعنى معها تبينُ أسمائهم . أود الليلة بصفة خاصة أن أسمع الأسماء غاية فى الجلاء ، حتى لا تلتبس علىّ . أتفهم باركر ؟

باركر : سمعاً وطاعة يا سيدتى .

ليدى وندرمير : ذلك يكفى [يخرج باركر من باب المنتصف] [مخاطبة لورد وندرمير] آرثر ، إذا أتت تلك المرأة إلى هنا — إنى أحذرك .

لورد وندرمير : مارجريت ! ستنزلين الخراب بنا .

ليدى وندرمير : تقول بنا ! من هذه اللحظة ، أصبحت حياتى منفصلة عن حياتك . أما إذا كنت تريد أن تتحاشى فضيحة علنية ، فاكتب

فى الحال إلى هذه المرأة . قل إننى أحظر عليها المجىء .

لورد وندرمير : لن أفعل — لا أستطيع — يجب أن تحضر !

ليدى وندرمير : سأفعل إذن كل ما قلته لك [تذهب نحو اليمين] إنك لم تدع لى اختيارا [تخرج من اليمين]

لورد وندرمير : [مرسلا نداآته خلفها] مارجريت ! مارجريت !

[فترة صمت] يا إلهى ! ماذا عساى أن أفعل ؟ أنا لا أجرؤ على إخبارها من تكون هذه المرأة فى الواقع . لو فعلت ، لقتلها العار .

[يتهالك جالسا على كرسى يغوص فيه ، ويدفن وجهه فى يديه]

ينسدل ستار الفصل الأول

الفصل الثانى

المنظر

قاعة الاستقبال فى منزل لورد وندرمير . باب فى يمين الصدر يؤدى إلى المرقص حيث الموسيقى تصدح . باب أيسر يدخل منه الضيوف . باب فى يسار الصدر مفتوح على شرفة مزدانة بالأنوار . نخيل ، زهور ، وأضواء باهرة . القاعة مزدحمة بالضيوف . ليدى وندرمير فى استقبالهم .

دوقة بروك : [فى منتصف الصدر] غريب جداً أن لورد وندرمير ليس هنا . كذلك فقد تأخر جداً مستر هوبر . لا بد أنك احتفظت له بتلك الرقصات الخمس أجاثا ؟ [تنزل نحو المقدمة]

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : [جالسة على الأريكة] دعينى ألقى نظرة على بطاقة دعوتك . إنى لمسرورة جداً بأن ليدى وندرمير قد أحيت هذا التقليد .

تلك البطاقات هى الحارس الوحيد الذى يؤمن الأمهات على بناتهن . يا صغيرتى العزيزة الساذجة [تشطب اسمين] يجب ألا ترقص بنت لطيفة رقصة كالوالتس مع مثل أولئك الشباب خاصة ! إنها رقصة تبدو جد سريعة ! بوسعك أن تقضى وقت هاتين الرقصتين الأخيرتين على الشرفة مع مستر هوبر .

[يدخل مستر دمبى وليدى بليمديل من المرقص]

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : [مستعملة مروحتها] فالهواء منعش هناك .

باركر : مستر كاوبر كاوبر . ليدى ستتفيلد . سير جيمس رويستن . مستر جى بركلى

[يدخل هؤلاء حسب ترتيب إعلان أسمائهم]

دمبى : مساء سعيد ليدى ستتفيلد . أظن أن هذه ستكون ختام الحفلات الراقصة للموسم ؟

ليدى ستتفيلد : أظن ذلك مستر دمبى . لقد كان موسماً مبهجاً أليس كذلك ؟

دمبى : مبهجاً تماماً ! مساء الخير يا دوقة ! أظن أن هذه ستكون ختام الحفلات الراقصة لهذا الموسم ؟

دوقة بروك : أظن ذلك مستر دمبي . لقد كان موسما ثقيلا راكداً أليس كذلك ؟

دمبي : غاية فى الركود ! غاية فى الركود .

مستر كاوبركاوبر : مساء سعيد مستر دمبي . أظن أن هذه ستكون آخر حفلات الموسم الراقصة ؟

دمبي : أوه ، لا أظن ، ستقام بعدها فى الغالب حفلتان . [يرجع متفقداً ليدى پليمديل]

باركر : مستر رفُورد . ليدى چيدبره ومِس جراهام . مستر هوپر .

[يدخل هؤلاء حسب إعلان أسمائهم]

هوپر : كيف حالكِ ليدى وندرمير ؟ كيف حالكِ يا دوقة ؟ [ينحنى تحيياً ليدى أجاثا]

دوقة بروك : عزيزى مستر هوپر ، جميل منك جداً أن جئت هكذا مبكرا . كلنا نعلم كيف يلاحقك أهل لندن .

هوپر : بلد عظيم لندن . بيد أن أهله لا يبلغون فى الاستئثار مبلغ أهل سدنى .

دوقة بروك : آه . نحن نعرف قدرك مستر هوپر . ليته كان مثلك كثيرون . إذن لكانت الحياة أكثر يسرا . أتعرف مستر هوپر ، عزيزتى أجاثا وأنا نجد أستراليا مثيرة

للاهتمام . لابد أنها أخاذة بما فيها من صغار حيوانات الكالجرو المحبوبة ، التى تغدو فيها وتروح . لقد عثرت عليها أجاثا فى الخريطة . ما أغرب شكلها ! تماماً مثل حقيبة ضخمة . على أية حال ، فهى بلد حديث ناشئ أليس كذلك ؟

هوپر : ألم تخلق فى نفس الوقت الذى خلق فيه غيرها من البلاد يا دوقة ؟

دوقة بروك : ما أشد ذكاءك مستر هوپر ، إن ذكاءك فريد فى نوعه . والآن يجب ألا أشغلك أكثر من ذلك .

هوپر : ولكنى أتوق إلى مراقصة ليدى أجاثا يادوقة .

دوقة بروك : حسن . أرجو أن تكون لديها رقصة غير محجوزة . ألديك رقصة خالية أجاثا ؟

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : الرقصة المقبلة ؟

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

هوپر : هل لى أن أحظى بذلك ؟ [تنحنى ليدى أجاثا موافقة]

دوقة بروك : على أن تحيط عصفورىَ الصغير الثرثار بأكبر العناية مستر هوپر .

[ليدى أجاثا ومستر هوبر ينتقلان إلى المرقص]

[يدخل لورد وندرمير من اليسار]

لورد وندرمير : مارجريت ، أريد أن أتحدث إليك .

ليدى وندرمير : بعد لحظة . [تتوقف الموسيقى]

باركر : لورد أوجستس لورتُن .

[يدخل لورد أوجستس]

لورد أوجستس : مساء الخير ليدى وندرمير .

دوقة بروك : سير چيمس ، هل لك فى أن تأخذنى إلى المرقص ؟ كان أخى أوجستس يتناول العشاء معنا هذه الليلة ، والحق أننى فى غير حاجة إلى المزيد من العزيز أوجستس فى هذه اللحظة [يعطى سيرجيمس رويستن ذراعه إلى الدوقة ، ثم يصحبها إلى المرقص]

باركر : مستر ومسز آرثر باودن . لورد وليدى بيسلى . لورد دار لنجتن .

[يدخل كل هؤلاء حسب ترتيب إعلان أسمائهم]

لورد أوجستس : [يتقدم إلى لورد وندرمير] أريد أن أتحدث إليك يا فتاى العزيز . لقد أصابنى الضنى حتى أصبحت كالخيال . أعلم أنى لا أبدو كذلك . وهل منا نحن الرجال من يبدو على حقيقته ؟ وهذا خير لنا

أيضاً باللعنة . إن الذى أريد أن أعرفه هو هذا : من تكون ؟ من أين جاءت ؟ لم لا يكون لها أقارب . باللعنة ؟ الأقارب هم عقارب . هؤلاء العقارب ، أصل كل ضجر يا للعنة ، ولكنهم أصل كل احترام يا للعنة .

لورد وندرمير : لعلك تتكلم عن مسز إيرلن ؟ أنا لم ألتق بها إلا من ستة أشهر فقط . وقبلها لم أكن أعلم بوجودها .

لورد أوجستس : ومنذ ذلك الحين وأنت كثير المقابلة لها .

لورد وندرمير : [ببرود] نعم ، منذ ذلك الحين وأنا كثير المقابلة لها . لقد قابلتها اليوم .

لورد أوجستس : يا لله ! إن النساء جميعاً يحملن عليها . كنت أتعشى مع أرابيلا هذا المساء ! وحق الإله ، ليتك سمعت ماقالته عن مسز إيرلن . لم تترك موضعاً فى سمعتها إلا مزقتـــه (جانبا) وقد قلنا لها بروك وأنا — إن ذلك لا يهم كثيراً ما دامت تلك السيدة لا بد أن تكون ذات جمال وهندام . ليتك رأيت وقع هذا الكلام على أرابيلا ! ولكن أعرنى التفاتك يا فتاى العزيز . لست أعرف

ماذا أفعل إزاء مسز إيرلن . يا لله ! قد تصبح زوجتى . إنها تعاملنى بعـــدم اكتراث لعين باللعنة . ثم إنها شيطانة فى ذكائها ! إنها تكشف عن كل شىء يا للعنة . إنها تكشف كنهك . إن عندها لك كل ما شئت من إيضاحات ، وهى جميعاً مختلفة الأنواع باللعنة .

لورد وندرمير : ليس فى صداقتى لمسز إيرلن إبهام يحتاج إلى أية إيضاحات .

لورد أوجستس : هِمْ ! حسن ، أعرنى التفاتك ياصديقى القديم العزيز ، أتظن أنها ستفلح يوماً من الأيام فى أن يقبلها هذا الشىء اللعين الذى يسمى بالمجتمع ! أتقدمها إلى زوجتك؟ دعك من اللف والدوران. أتقدمها إلى زوجتك ؟

لورد وندرمير : مسز إيرلن قادمة إلى هنا هذه الليلة .

لورد أوجستس : هل أرسلت زوجتك بطاقة إليها ؟

لورد وندرمير : مسز إيرلن تسلمت بطاقة الدعوة .

لورد أوجستس : إذن فهى امرأة مقبولة يا فتاى العزيز . لكن لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟ إذن لكفانى ذلك الكثير من الهم والوقوع

فى سوء التفاهم يا للعنة !

[ليدى أجاثا ومستر هوپر يعبران ويخرجان إلى الشرفة من مدخل اليسار فى الصدر]

باركر : مستر سيسيل جراهام .

سيسيل جراهام : [ينحنى لليدى وندرمير ، ثم يمر ، ثم يصافح لورد وندرمير]

مساء سعيد آرثر . لِمَ لا تسألنى عن حالى ؟ أحب من الناس أن يسألونى عن حالى . إن ذلك يدل على مدى الاهتمام بصحتى . هأنذا الليلة على غير ما يرام . ذلك أنى تناولت العشاء مع أهلى . إنى لأعجب لماذا يكون أهل الإنسان دائماً مبعث ضجره ؟ إن أبى لا يكاد يفرغ من تناول العشاء حتى يأخذ فى إسداء النصائح الخلقية . لقد قلت له إنه بلغ من الكبر ما يجعله أكثر منى إدراكاً . ولكن التجربة علمتنى أن الناس بمجرد أن يبلغوا من الكبر ما يجعلهم أكثر إدراكاً ، لا يدركون شيئاً بالمرة . أهلا تبى ! سمعتُ أنك ستصبح متزوجـاً للمرة الثانية . حسبتك سئمت تلك اللعبة .

لورد أوجستس : إنك لشديد العبث يافتاى العزيز . إنك لشديد العبث .

سيسيل جراهام : على فكرة تبى ، خبرنى . أى الأمرين قد حـــدث لك ؟ هل زُوِّجتَ مرتين وطُلِّقتَ مرة واحدة ، أم طُلِّقت مرتين وزوِّجت مرة واحدة ؟ أناشخصيا أقول إنك طُلِّقتَ مرتين وزوجت مرة واحدة ، فهذا يبدو أكثر احتمالا .

لورد أوجستس : لى ذاكرة رديئة جداً . فى الحق لست أذكر أيهما قد حدث لى . [يتحرك مبتعداً عنه صوب اليمين]

ليدى پليمديل : لورد وندرمير . عندى شىء خاص جداً أريد أن أسألك عنه .

لورد وندرمير : أرجو المعذرة . أرانى مضطراً إلى اللحاق بزوجتى .

ليدى پليمديل : أوه . يجب عليك ألاَّ تفكر فى أمر كهذا . فإنه لمن أخطر الأمور على الزوج فى هذه الأيام ، أن يظهر أدنى اهتمام بزوجته أمام الناس . فذلك يجعلهم يعتقدون أنه يضربها حين يخلو بها .

هكذا بلغ تشككك الناس فى كل مظهر من مظاهر الزوجية السعيدة . على أنى سأحدثك فى ذلك عندما نجتمع على المائدة . [تتحرك نحو باب المرقص]

لورد وندرمير : [فى المنتصف] مارجريت ! يجب أن أتحدث إليك .

ليدى وندرمير : أتسمح بأن تحمل عنى مروحتى لورد دارلنجتن ؟ شكراً . [تأتى نازلة إليه]

لورد وندرمير : [عابراً إليها] مارجريت ، ما قلته قبل العشاء كان بالطبع أمراً مستحيلا ؟

ليدى وندرمير : تلك المرأة ليست آتية إلى هنا الليلة .

لورد وندرمير : [أيمن المنتصف] إن مسز إيرلن آتية هنا ، وإذا أنت — على أى وجه من الوجوه — ألحقتِ بها أى إزعاج ، أو جرحت شعورها ، فإنك ستلحقين الخزى والأسى بى وبنفسك . اذكرى ذلك . آه ، مارجريت ! ألا فلتثقى بى . يجب أن تثق الزوجة بزوجها !

ليدى وندرمير : [فى المنتصف] لنـــدن مليئة بالزوجات اللائى يثقن بأزواجهن . يستطيع الإنسان دائماً أن يتميزهن بما يبدو عليهن من بؤس

مقيم . لن أكون واحدة منهن . [تتحرك عنه صاعدة] لورد دارلنجتن . أتسمح بأن تعيد إلىّ مروحتى ؟ شكرا . إنها شيء نافع المروحة . أليس كذلك ؟ ... إنى بحاجة إلى صـــديق الليلة لورد دارلنجتن . ماكنت أحسب أنى سأحتاج إليه هكذا سريعاً .

لورد دارلنجتن : ليدى وندرمير ! كنت على يقين أن ذلك سيحدث يوماً ما . ولكن لماذا الليلة ؟

لورد وندرمير : سأطلعها على الحقيقة . يجب أن أفعل . إنه سيكون شيئاً مروعاً إن وقع هنا عمل مثير . مارجريت ...

باركر : مسز إيرلن .

[لورد وندرمير يجفل . مسز إيرلن تدخل فى أبهى حلة وفى غاية من الوجاهة . ليدى وندرمير تشد قبضتها على مروحتها ، ثم تدعها تسقط على الأرض . تنحنى فى برود لمسز إيرلن ، التى ترد عليها بانحناءة حلوة ، ثم تتهادى إلى داخل القاعة]

لورد دارلنجتن : لقد أسقطت مروحتك ليدى وندرمير

[يلتقطها ثم يقدمها إليها]

مسز إيرلن : [فى المنتصف] للمرة الثانية اليوم أسأل كيف أنت لورد وندرمير ؟ كم هى ساحرة زوجتك اللطيفة ! لكأنها صورة رائعة .

لورد وندرمير : [فى صوت خفيض] كان مجيئك غاية فى التهور .

مسز إيرلن : [مبتسمة] بل كان أصوب ما فعلت طوال حيـاتى . وبالمناسبة ، يجب أن تخصنى بأوفى نصيب من عنايتك هذه الليلة . إنى لخائفة من النساء . يجب أن تقدمنى إلى بعضهن . أما الرجال فإنى قادرة دائماً على تدبير أمرى معهم . كيف حالك لورد أوجستس ؟ إنك قد أهملتنى كل الإهمال أخيراً . لم أرك منذ الأمس . أخشى أن تكون غير وفىّ . الكل يقولون لى عنك ذلك .

لورد أوجستس : [يميناً] فى الحقيقة ، دعينى أشرح لك مسز إيرلن .

مسز إيرلن : [عند أيمن المنتصف] لا ياعزيزى لورد أوجستس . إنك لا تستطيع أن تشرح شيئاً . وتلك جاذبيتك الكبرى .

لورد أوجستس : آه ! إذا كنت تتبينين فيَّ جاذبية مسز إيرلن — [يتحادثان معاً . يتحرك لورد وندرمير متثاقلا جزعاً فى أرجاء القاعة يرقب مسز إيرلن]

لورد دارلنجتن : [إلى ليدى وندرمير] لشدَّ ما أنتِ شاحبة !

ليدى وندرمير : الجبناء دائماً شاحبون .

لورد دارلنجتن : تبدين خائرة القوى . اخرجى إلى الشرفة .

ليدى وندرمير : نعم . [إلى باركر] باركر . أرسل إلىَّ معطفى على الشرفة .

مسز إيرلن : [عابرة إليها] ليدى وندرمير ، ما أبهى ما تبدو شرفتك بأنوارها الوضاءة . إنها تذكرنى بشرفة البرنس دوريا فى روما .

[ليدى وندرمير تنحنى فى برود ، ثم تذهب خارجة مع لورد دارلنجتن] أوه ، كيف أنت مستر جراهام ؟ أليست تلك عمتك ليدى جيدبره ؟ لكم أتوق إلى التعرف عليها .

سيسيل جراهام : [بعد فترة تردد وارتباك] أوه بكل تأكيد إذا ما كنت تريدين . عمتى كارولين ، إسمحى لى أن أقدم إليك مسز إيرلن .

مسز إيرلن : لكم أنا سعيدة بلقائك ليدى جيدبره .

[تجلس بجوارها على الأريكة] ابن أخيك وأنا صديقان حميمان . أنا شديدة الاهتمام

بمستقبله السياسى . أعتقد أنه جدير بالنجاح الباهر الذى ينتظره . إنه يفكر كما يفكر المحافظون ، ويتكلم كما يتكلم الراديكاليون ، ولهذا أهميته الكبرى فى هذه الأيام . وإنه أيضاً لمحدث ألمعى . على أننا نعرف جميعاً عمن ورث تلك الميزة . بالأمس فقط ، كان يقول لى اللورد اللانديل ونحن فى المتنزه ، إن مستر جراهام يحسن الكلام كعمته تقريباً .

ليدى جيدبره : [يميناً] إنه لجميل منك جداً ، أن تقولى لى مثل هذه الأشياء اللطيفة !

[مسز إيرلن تبتسم - ثم تواصل المحادثة]

دمبى : [إلى سيسيل جراهام] هل قدّمت مسز إيرلن إلى ليدى جيدبره ؟

سيسيل جراهام : كان لابد لى من ذلك يا صديقى العزيز . لم يكن من ذلك مفر . بوسع تلك المرأة أن تجعل الإنسان يفعل أى شىء تريد . كيف ؟ لست أدرى .

دمبى : أرجو من الله ألا تكلمنى [يتلكأ قاصداً إلى ليدى بليميديل]

مسز إيرلن : [فى المنتصف إلى ليدى جيدبره] يوم الخميس ؟ بكل سرور [تنهض وتخاطب لورد وندرمير ضاحكة] أى ضيق أن يُضطر الإنسان إلى ملاطفة عجائز النســـاء . لكنهن دائماً يلححن فى طلب ذلك !

ليدى پليمديل : [إلى مستر دمبى] من تكون تلك المتأنقة التى تتكلم مع وندرمير ؟

دمبى : ليس عنـــدى أدنى فكرة ! تبدو كما لو كانت طبعـــة فاخرة لقصة فرنسية فاجرة ، طبعت خصيصاً للقراء الأنجليز .

مسز إيرلن : إذن فهذا هو دمبى المسكين مع ليدى پليمديل ؟ سمعت أنها شديدة الغيرة عليه . إنه لايبدو راغباً فى التحدث إلىّ هذه الليلة . أظنه خائفا منها . أولئك النسوة الصفراوات فى طباعهن حدة . والآن ، أتعلم أنى أفكر فى أن أرقص معك أولى رقصاتى ، وندرمير [لورد وندرمير يعض على شفته ويعبس] سيثير ذلك غيرة أوجستس ! لورد أوجستس ! [لورد أوجستس ينزل إليها] إن لورد وندرمير مُصرٌّ على أن أرقص معه أولاً ، وبوصفه صاحب الدار

لا يجمل بى أن أرفض طلبه . إنك تعلم أننى كنت أود أن أكون أكثر مسارعة إلى مراقصتك .

لورد أوجستس : [بانحناءة كبيرة] ليتنى أصدق ذلك مسز إيرلن.

مسز إيرلن : بل إنك من ذلك لعلى يقين مابعده يقين . ثمة امرأة أتخيلها ترقص حياتها كلها معك وتجد فى ذلك كل المتعة .

لورد أوجستس : [واضعاً يده على صداريته البيضاء] أوه ، أشكرك ، أشكرك . إنك أحق الناس جميعاً بالعبادة . .

مسز إيرلن : أى حديث عذب ! فى غاية البساطة والصدق ! إنه طراز الحديث الذى أحب . هو بعينه . والآن ، فلتحمل عنى باقتى [تقصد المرقص مستندة إلى ذراع لورد وندرمير] آه ، مستر دمبى ، كيف حالك ؟ يؤسفنى جدا أننى لم أكن موجودة فى بيتى خلال المرات الثلاث التى زرتنى فيها أخيراً . تعال وتناول الغذاء معى يوم الجمعة .

دمبى : [بعدم اكتراث] يسعدنى ذلك !

[ليدى پليمديل تحدق ساخطة فى مستر دمبى، لورد

أوجستس يتبع مسز إيرلن ولورد وندرمير إلى المرقص حاملا باقة الأزهار]

ليدى پليمديل : [إلى مستر دمبى] أى حيوان ضارٍ أنت ! لن أستطيع تصديق كلمة واحدة تقولها بعد الآن ! لماذا قلت لى إنك لم تعرفها؟ ما معنى زياراتك لهـا ثلاث مرات متتاليات ؟ أنت محظورٌ عليك الذهاب للغداء هناك بالطبع تفهم ذلك ؟

دمبى : عزيزتى لورا ، لم يخطر على بالى الذهاب !

ليدى پليمديل : إنك لم تذكر لى اسمها بعد ! من تكون ؟

دمبى : [يسعل بخفة ثم يمسح بيده على شعره] إنها إنسانة تدعى مسز إيرلن .

ليدى پليمديل : تلك المرأة !

دمبى : نعم . هذا ما يسميها به كل إنسان .

ليدى پليمديل : ياله من أمرٍ باعث للاهتمام ! باعث جدا على الاهتمام . يجب فى الحق أن أتفرس فيها مليا . [تذهب إلى المرقص منفلذة بصرها عبره] سمعت عنهـا أنكر الأشياء . يقولون إنها تُخَرِّبُ حياة المسكين وندرمير . ومن العجيب أن تدعوها ليدى وندرمير على مالها من

شهرة بالفضل ... ياله من أمر عظيم الطرافة ! لا تتأتى أحمق الحماقات إلا من أفضل الفضليات. ستتناول الغذاء عندها يوم الجمعة !

دمبى : لماذا ؟

ليدى پليمديل : لأنى أريدك أن تصحبَ زوجى معك . لقد أصبح أخيراً شديد الانتباه إلى حدٍ مضايق للغاية. فهذه المرأة الآن هى عينُ المطلوب . سيظل لصيقاً بها ما سمحت له ، وبهذا أخلص من مضايقته . أؤكد لك أن هذا الصنف من النساء له فائدته الكبيرة ! فهن الأساس الذى يقوم عليه استمرار العلاقات الزوجية عند الآخرين .

دمبى : أى لغز أنت !

ليدى پليمديل : [شاخصة إليه] وددتُ لو كنتَ كذلك !

دمبى : وإنى لكذلك — لغز بالنسبة لنفسى . أنا هو الشخص الوحيد فى الدنيا ، الذى أتمنى أن أعرف كنهه . الأمر الذى لا أرى بارقة أملٍ فى تحققه الآن .

[يدخلان إلى المرقص ، بينما ليدى وندرمير ولورد دارلنجتن يدخلان من الشرفة]

ليدى وندرمير : نعم . قدومها إلى هنا شيء فظيع لا يُحتمل . أدركت الآن ما كنت تعنيه اليوم وقت الشاى. لماذا لم تخبرنى بصراحة تامة ؟ كان يجب أن تفعل .

لورد دارلنجتن : لم يكن فى مقدورى ! لا يستطيع رجل أن يقول عن رجل آخر هذه الأشياء . ولكننى لو سبق إلى علمى أنه كان معتزماً حملك على دعوتها هذه الليلة، لفعلت. هذه الإهانة كان يجب على كل حال تجنيبك شرها .

ليدى وندرمير : أنا لم أدْعُها . هو الذى أصر على حضورها، غير عابئ بتوسلاتى ولا محترم أوامرى . أوه ! أصبحت أعاف بيتى الملوث . أحسُّ أن كل النساء هنا يَسْخَرْنَ منى إذْ يَرَيْنَها تراقص زوجى. ماذا صنعت ليكون هذا جزائى؟ قدمتُ له حياتى ، فتسلمها ، واستمتع بها ثم أتلفها . أصبحت مُمتهنة الكرامة منحطة القدر حتى فى نظرى . ومع ذلك تعوزنى الشجاعة — إنى لجبانة [تجلس على الأريكة]

لورد دار لنجتن : إذا صحّت معرفتى إياك ، فإنى أعرفك لا تطيقين العيش مع رجل يعاملك بمثل هذه المعاملة ! أى نوع من الحياة تكون حياتك معه ؟ ستشعرين أنه إنما يكذب عليك فى كل يوم ، فى كل لحظة . ستشعرين بالزيف فى نظرته ، فى نبرته ، فى لمسته ، فى عاطفته . يعود إليك عندما يمل الأخريات ، وعليك أنت أن تروحى عنه . يعود إليك وهو متيم بالأخريات وعليك أنت أن تؤنسيه . وعليك فوق ذلك أن تكونى له القناع الذى يخفى حقيقة حياته ، والغطاء الذى يستر أسراره .

ليدى وندرمير : أنت على صواب — على الصواب كل الصواب . لكن إلى أين أتجه ؟ قلتَ إنك تنشد صداقتى لورد دار لنجتن . أشر علىّ بما يجب . كن صديقى الآن .

لورد دار لنجتن : بين الرجال والنساء لا يمكن أن توجد صداقة ، بل صبابة ، عداوة ، عبادة ، حب ، أما الصداقة فلا . إنى أحبك —

ليدى وندرمير : لا ، لا ! [تنهض]

لورد دار لنجتن : نعم ، أحبك ! إنك عندى أهم ما فى

الوجود كله . ما الذى يقدمه إليك زوجك؟
لاشىء . إنه وما ملك لهذه المرأة الخاسرة ،
التى زجّ بها فى مجتمعك ، فى بيتك ،
ليلحق بك العار على مشهد من الجميع .
إنى أهبك حياتى —

ليدى وندرمير : لورد دارلنجتن !

لورد دارلنجتن : حياتى — حياتى كلها . تقبلها واصنعى
بها ماتشائين .. إنى أحبك — أحبك
حبا لم ينبض بمثله قلبى لكائن غيرك . لأول
لحظة لقيتك أحببتك . أحببتك حبا أعمى ،
إلى حد العبادة ، إلى حد الجنون !
لم تدركى ذلك فى حينه — ولكنك
تدركينه الآن ! اهجرى هذا البيت
الليلة . أنا لاأقول لك إنه لا شأن للعالم ،
للمجتمع ، ولألسنة الناس ، فهى جميعاً
لها شأن كبير . ولكن هناك لحظات
يضطر المرء فيها اضطراراً إلى أن
يختار أحد أمرين . إما أن يحيا حياته
مفعمة ، موفورة ، كاملة غير منقوصة ،
وإما أن يُجَرِّر أغلال ذلك العيش
الزائف الخاوى المهين ، الذى تتطلبه

الدنيا فى عرفها المنافق . إنك الآن لفى لحظة من تلك اللحظات ، فتخيرى ! أجل يا حبيبتى تخيرى .

ليدى وندرمير : [متراجعة عنه فى بطء ناظرة إليه بعينين جافلتين من الدهشة] لا أملك الشجاعة .

لورد دارلنجتن : [ملاحقها] نعم . إنك تملكينها . قد تمر بك ستة أشهر من الألم بل من العار ، ولكن عندما يزول عنك اسمه ، وتحملين بدله اسمى ، ستعود الأمور إلى خير حال . مارجريت يا حبيبتى ، يا زوجتى المقبلة — نعم يا زوجتى ! إنك تعلمين ذلك ! وأنت من تكونين الآن ؟ لقد اغتصبت هذه المرأة مكانك المشروع الذى هو حقك . أوه ! اتركى هذا البيت . ارحلى عنه برأس مرفوع ، وابتسامة مشرقة ، وعزم يشتعل فى عينيك . كل لندن ستعلم سبب فعلتيك فمن ذا يلومك ؟ لا أحد . وإذا فعلوا ، فماذا يهم ؟ خطأ ؟ ما الخطأ ؟ الخطأ أن يهجر الرجل زوجته من أجل امرأة فاجرة . الخطأ أن تبقى الزوجة مع رجل

يحقرها . قلتِ مرة إنك لا تأخذين بأنصاف الحلول فى معالجة الأمور ، فلا تأخذى بها الآن . كونى شجاعة . كونى أنت نفسك !

ليدى وندرمير : إننى أخشى أن أكون نفسى . دعنى أفكر ، دعنى أنتظر ! ربما عاد لى زوجى .

[تجلس على الأريكة]

لورد دارلنجتن : وتقبلينه إذا عاد ! لستِ إذن من كنتُ أتصور . أنتِ تماماً كأية امرأة أخرى . إنك تفضلين احتمال أى شىء على مواجهة انتقاد المجتمع الذى كنت تحتقرين مديحَه من قبل . بعد أسبوع واحد ستذهبين فى عربتك إلى المتنزه وهذه المرأة بجانبك . ستكون ضيفتك الدائمة — أعزّ صديقاتك . إنك تفضلين احتمال أى شىء على أن تفصمى هذه العروة المشئومة بضربة واحدة . أنت على حق . لا شجاعة لك ، لا ذرّة واحدة من الشجاعة .

ليدى وندرمير : آه . ، أمهلنى بعض الوقت لأفكّر .

لا أستطيع الآن جواباً . [تمرر يدها بعصبية على جبينها]

لورد دارلنجتن : بل الجواب الآن ، أو لا جواب .

ليدى وندرمير : [ناهضة عن الأريكة] إذن لن يكون ! [فترة صمت]

لورد دارلنجتن : إنك تحطمين قلبي !

ليدى وندرمير : لقد تحطم قلبى من قبل [صمت]

لورد دارلنجتن : غداً أبرح انجلترا . هذه آخر مرة تقع فيها عليك عيناى . سوف لا ترينى أبداً بعد الآن . فى لحظة تلاقت حياتانا ، واتصل روحانا . ولن يلتقيا بعدها ولن يتصلا . وداعاً مارجريت [يخرج]

ليدى وندرمير : ما أشد وحدتى فى هذه الحياة ! ما أفظع وحدتى ! [تتوقف الموسيقى ، تدخل دوقة بروك ولورد بيسل متحادثين ضاحكين . يدخل ضيوف آخرون من المرقص]

دوقة بروك : عزيزتى مارجريت ، فرغت تواً من الاستمتاع بحديث طلى مع مسز إيرلن . إنى لجدُّ أسيفة على ما قلتُ لك عنها عصر اليوم . لا بد وأنها فاضلة مادمتِ قد دعوتِيها . امرأة جذّابة حقاً ، ولها

نظرات صائبة فى الحياة . أخبرتنى أنها تستهجن كل الاستهجان أن يتزوج الناس أكثر من مرة ، مما طمأننى تماماً على المسكين أوجستس . لا أستطيع أن أتصور لماذا يتقول الناس عليها . إنهن بنات أخى المزعجات ، إنهن دائمات الخوض فى سير الناس . على أننى مازلتُ أنصح لك بالذهاب إلى هامبرج ، لو كنت فى مكانك لفعلت حتما ، فالمرأة زائدة الجاذبية بعض الشىء . لكن أين أجاثا ؟ أوه ها هى ذى . [ليدى أجاثا ومستر هوبر يدخلان من الشرفة من مدخل الصدر الأيسر] مستر هوبر ، إنى غاضبة منك جِدَّ الغضب . جِدَّ الغضب . لقد أخذت أجاثا إلى الشرفة ، وهى رقيقة غاية الرقة .

هوبر : [فى أيسر المنتصف] آسف أشد الأسف يادوقة . فما خرجنا إلاَّ للحظة ، ولكن الحديث قد استغرقنا .

دوقة بروك : [فى المنتصف] آه ، حديث عن أستراليا العزيزة على ما أعتقد ؟

هوبر : نعم !

دوقة بروك : أجاثا ياحبيبتى [تشير إليها فتلاقيها حيث أشارت]

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : [هامسة] هل صرح مستر هوبر —

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : وبماذا أجبته يا طفلتى العزيزة ؟

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : [مدللة ! إياها فى حب] يا وحيدتى العزيزة ! أنت دائما تنطقين بالصواب . مستر هوبر ! چيمس ! أجاثا أخبرتنى بكل شىء . بأية براعة استطعتما كتمان سركما .

هوبر : أنت إذن لا اعتراض لك على أخذى أجاثا إلى أستراليا يادوقة ؟

دوقة بروك : [منفضبة] إلى أستراليا ؟ أوه لاتذكر اسم ذلك المكان الخشن المخيف .

هوبر : ولكنها قالت لى إنها تتمنى الذهاب معى .

دوقة بروك : [بقوة] هل قلت ذلك أجاثا ؟

ليدى أجاثا : نعم « ماما » .

دوقة بروك : أجاثا ، إنك لاتنطقين إلا بأحمق الحماقات . إنى أعتقد فى الجملة أن « جروزفنرسكوپر » قد يكون مكانا أصلح للسكن وأصح .

إن فيه كثيرين من غير العلنية ، ولكنه على أى حال ليس به حيوانات الكانجرو المزعجة تقفز هنا وهناك . على أننا سنتكلم فى ذلك غداً . چيمس ، تستطيع أن تنزل مع أجاثا . بالطبع أنت آت للغداء معنا . چيمس ، فى الواحدة والنصف بدل الثانية . سيكون الدوق راغباً فى أن يقول لك بضع كلمات ، فيما أعتقد .

هوبر : إنى أتوق إلى محادثة الدوق يادوقة ، فإنه لم يقل لى حتى الآن كلمة واحدة .

دوقة بروك : أعتقد أنك ستجد لديه غداً أشياء كثيرة يريد أن يقولها لك . [تخرج ليدى أجاثا مع مستر هوبر] والآن طاب ليلك مارجريت . أخشى أن تكون هذه هى القصة القديمة الخالدة ياعزيزتى . الحب — ليس الحب من النظرة الأولى أول الموسم ، بل فى نهايته ، وهو خير أنواع الحب .

ليدى وندرمير : طاب ليلك يادوقة .

[تخرج دوقة بروك مستندة إلى ذراع لورد بيسل]

ليدى پليمديل : عزيزتى مارجريت ، ما أجمل المرأة التى

كان يراقصها زوجك ! لو كنت مكانك لمزقتنى الغيرة ! أهى صديقة حميمة لك؟

ليدى وندرمير : كلا !

ليدى پليمديل : حقا ؟ طاب ليلك ياعزيزتى [تنظر إلى مستر دمبى ثم تخرج]

دمبى : ما أفظع خلائق ذلك الصغير هوبر !

سيسيل جراهام : آه ! هوبر هذا واحـــد من السادة الفطريين . أسوأ طراز من السادة عرفته .

دمبى : امرأة عاقلة ليدى وندرمير . كثيرات غيرها من الزوجات ، كن يمانعن فى استقبال مسز إيرلن . لكن ليدى وندرمير تتمتع بذلك الشئ النادر المسمى بالحكمة والمنطق السليم .

سيسيل جراهام : ولورد وندرمير يعرف أن ليس ثمة شىء أدل على البراءة من عدم التحفظ .

دمبى : نعم إن عزيزنا وندرمير يتحول إلى رجل عصرى متحرر . لم أكن أتوقع منه ذلك أبداً .

[ينحنى لليدى وندرمير ويخرج]

ليدى جيدبره : طاب ليلك ليدى وندرمير . يالها من امرأة فاتنة مسز إيرلن ! إنها ستتناول طعام الغذاء عندى يوم الخميس . ألا

تأتين ؟ إنى أنتظر كذلك تشريف الأسقف وليدى ميرتُن العزيزة .

ليدى وندرمير : أخشى ألاّ أستطيع إذ أننى على موعدٍ فى ذلك اليوم ، ليدى جيدبره .

ليدى جيدبره : آسفة لذلك أشد الأسف . هيا ياعزيزتى

[تخرج ليدى جيدبره ومس جراهام]

[تدخل مسز إيرلن ولورد وندرمير]

مسز إيرلن : لقد كانت الحفلة الراقصة غاية فى الإبداع ! وإنها لتذكرنى بالأيام الماضية. [تجلس على الأريكة] وأرى أنه ما يزال بالمجتمع اليوم من الأغبياء والمجانين قدر ما كان متوافراً له فى الماضى . لكنّم يسعدنى أن شيئاً لم يتغير عدا مارجريت . إنها ازدادت حسناً . كانت آخر مرة رأيتها فيها منذ عشرين عاماً . كانت من هزالها تبدو شيئاً مخيفاً فى ثوب « الفانيلا » اللاصق . حقاً كانت شيئاً مخيفاً ، أؤكد لك . يا للدوقة العزيزة ! وهذه الظريفة ليدى أجاثا ! إنها بنت من الطراز الذى أحب ! وبالمناسبة ، حقاً ،

وندرمير ، إذا قدر لى أن أكون زوجة لأخى الدوقة —

لورد وندرمير : [جالساً إلى يسارها] ولكن أتراك ... ؟

[يخرج سيسيل جراهام مع بقية الضيوف . ليدى وندرمير تتحدى مسز إيرلن وزوجها بنظرة ملؤها الاحتقار والألم . وهما لا يحسان بوجودها]

مسز إيرلن : أوه نعم ! لقد تواعدنا أن يزورنى غداً ظهراً فى الثانية عشرة ! كان يريد أن يطلب يدى الليلة . بل لقد فعل . إنه كان مستمراً فى طلب يدى . مسكين أوجستس ، أنت تعرف كيف يكرر نفسه . عادة سيئة ولا شك ! ولكنى أخبرته أننى لن أعطيه جواباً حتى الغد . بالطبع سأقبله زوجاً . وأستطيع القول إننى سأكون له زوجة جديرة بالإعجاب بين الزوجات . على أن فى لورد أوجستس حسنات كثيرة . ومن حسن الحظ أنها على السطح ظاهرة للعيان ، حيث يجب أن تكون الحسنات . وبالطبع من واجبك أن تساعدنى فى هذا الأمر .

لورد وندرمير : لا أظنك تريدينني على أن أشجع لورد أوجستس .

مسز إيرلن : أوه لا . أنا كفيلة بتشجيعه . لكنك ستُجرى عليَّ إيراداً طيباً من المال كل عام . أليس كذلك ؟

لورد وندرمير : [عابساً] أذلك ما تريدين محادثتي فيه الليلة؟

مسز إيرلن : نعم .

لورد وندرمير : [في حركة نافذة الصبر] لن أتحدث في ذلك هنا .

مسز إيرلن : [ضاحكة] إذن فلنتحدث فيه على الشرفة . فمثل هذه الأعمال ، تحتاج من ورائها إلى مناظر شاعرية تظاهرها . أليس كذلك وندرمير ؟ بمثل هذه المناظر ، يستطيع النساء أن يفعلن أي شيء .

لورد وندرمير : ألا يصلح الغد لذلك ؟

مسز إيرلن : لا . فأنت ترى أنني في الغد سأبلغه قبولي . وأعتقد أنه يكون مفيداً لو كان بوسعي أن أخبره أنني أمتلك — كم أقول ؟ — ألفَيْ جنيه إيراداً سنوياً ورثته عن أحد أبناء عمومتي — أو عن زوج ثان — أو أحدٍ ممن يمتون إليَّ بقرابة بعيدة .

سيكون ذلك زيادة فى الترغيب ، أليس كذلك ؟ أمامك الآن فرصة مواتية لإسماعى كلمة إطراء ، « وندرمير » . ولكنك لستَ ظاهر البراعة فى الإطراء . لعل « مارجريت » لا تشجعك على تلك العادة الطيبة . وإنه لخطأ جسيم منها . فالرجال إذا هم كفوا عن قول ما هو جميل ، كفوا فى الوقت نفسه عن التفكير فيما هو جميل . لكن جِدِّيًّا ، ما قولك فى ألفَىْ جنيه ؟ أظن ألفين وخمسماية . إن الهامش المالى هو كل شىء فى الحياة العصرية . ألا ترى « وندرمير » أن الدنيا مكانٌ حافل بالمُسْلِيَات ؟ إنى أراها كذلك ! [تخرج إلى الشرفة مع لورد وندرمير . الموسيقى تصدح فى المرقص]

ليدى وندرمير : لقد أصبح مستحيلا علىّ أن أبقى فى هذا البيت بعد الآن . إن رجلا يحبنى قدم لى الليلة حياته كلها . وقد رفضتها وكان ذلك منى غاية فى الحمق . قررت أن أتبع رفضى لا بالقبول ، بل بالتقدم إليه بحياتى . أنا التى سأقدم له حياتى

الآن ، سأقدمها له . إنى ذاهبة إليه !

[ترتدى المعطف وتأخذ سبيلها إلى الباب ، ثم تقفل راجعة . تجلس إلى المنضدة وتأخذ فى تسطير الرسالة . ثم تضعها فى ظرف . وتتركها على المنضدة] إن آرثر لم يفهمنى قط ؛ سيفهمنى عند ما يقرأ هذه الرسالة . الآن له أن يتصرف فى حياته كيف يشاء . لقد تصرفت فى حياتى بما أراه الأصلح ، وبما أراه الأصوب . إنه هو الذى فصم عروة الزواج لا أنا . أما الذى فصمته فهو قيد العبودية [تخرج] .

[يدخل باركر من اليسار ويعبر إلى المرقص جهة اليمين ، تدخل مسز إيرلن]

مسز إيرلن : هل ليدى وندرمير بالمرقص ؟

باركر : سيادتها قد خرجت توًّا .

مسز إيرلن : خرجت ؟ أليست بالشرفة ؟

باركر : لا : « مادامت » سيادتها خرجت توًّا من المنزل .

مسز إيرلن : [تجفل وتحملق فى الخادم بعينين تنطلقان بالحيرة] خرجت من المنزل ؟

باركر : نعم « مادام » سيادتها أخبرتنى أنها

تركت رسالة لسيادته على المنضدة .

مسز إيرلن : رسالة للورد وندرمير ؟

باركر : نعم « مادام »

مسز إيرلن : شكراً [يخرج باركر . تتوقف الموسيقى فى المرقص] خرجت من بيتها ! رسالة موجهة إلى زوجها ! [تقصد إلى المكتب وتنظر إلى الرسالة. تتناولها ، ثم تعيدها فى رعدة من الخوف] لا ، لا ! هذا يكون من المحال ! الحياة لا تعيد هكذا مآسيها ! أوه ، لِمَ تساورنى هذه الهواجس المفزعة ؟ لِمَ أتذكر الآن من حياتى تلك اللحظة الوحيدة التى أتمنى كل التمنى أن أنساها ؟ أوَ تعيد الحياة مآسيها ؟

[تفض الرسالة وتقرأها ثم تغوص فى الكرسى ويبدو فى حركتها الألم] أوه ما أفظع ذلك ! نفس الكلمات التى كتبتها إلى أبيها منذ عشرين عاماً ! ما أمرَّ ما عوقبت به على ذلك ! لا ، إنما عوقبت ، عقابى الحقيقىّ ، لاقيته الليلة ، بل الآن !

[ما تزال جالسة جهة اليمين]

[يدخل وندرمير من مدخل الصدر الأيسر]

لورد وندرمير : هل قلت لزوجتى طابَ ليلك ؟
[يقبل إلى المنتصف]
مسز إيرلن : [ضاغطة على الرسالة بيدها محاولة إخفاءها]
نعم .
لورد وندرمير : وأيْن هى ؟
مسز إيرلن : إنها جد متعبة . ذهبت إلى فراشها .
قالت إنها تعانى صداعاً .
لورد وندرمير : يجب أن أذهب إليها . معذرة .
مسز إيرلن : [ناهضة فى سرعة] أوه لا ! ليس الأمر
بذى بال . إنها فقط متعبة جداً ، هذا
كل فى الأمر . ثم مايزال هناك أناس
فى غرفة العشاء . وهى تريد منك أن
تبلغهم اعتذارها . ولقد قالت إنها
لا تريد أن يزعجها أحد . [تسقط
من يدها الرسالة] كلفتنى بإبلاغك ذلك !
لورد وندرمير : [يلتقط الرسالة] سقط منك شىء .
مسز إيرلن : أوه . نعم ، شكراً . إنه لى .
[تمد يدها لتأخذه]
لورد وندرمير : [مايزال ينظر إلى الرسالة] لكنه خط زوجتى
أليس كذلك ؟
مسز إيرلن : [تأخذ الرسالة فى سرعة] نعم . إنه عنوان . هل
لك أن تتفضل فتكلفهم باستدعاء عربتى ؟

تركت رسالة لسيادته على المنضدة .

مسز إيرلن : رسالة للورد وندرمير ؟

باركر : نعم « مادام »

مسز إيرلن : شكراً [يخرج باركر . تتوقف الموسيقى فى المرقص] خرجت من بيتها ! رسالة موجهة إلى زوجها ! [تقصد إلى المكتب وتنظر إلى الرسالة. تتناولها ، ثم تعيدها فى رعدة من الخوف] لا ، لا ! هذا يكون من المحال ! الحياة لا تعيد هكذا مآسيها ! أوه ، لِمَ تساورنى هذه الهواجس المفزعة ؟ لِمَ أتذكر الآن من حياتى تلك اللحظة الوحيدة التى أتمنى كل التمنى أن أنساها ؟ أوَ تعيد الحياة مآسيها ؟

[تفض الرسالة وتقرأها ثم تغوص فى الكرسى ويبدو فى حركتها الألم] أوه ما أفظع ذلك ! نفس الكلمات التى كتبتها إلى أبيها منذ عشرين عاماً ! ما أمرَّ ما عوقبت به على ذلك ! لا ، إنما عقابى ، عقابى الحقيقىّ ، لاقيته الليلة ، بل الآن !

[ما تزال جالسة جهة اليمين]

[يدخل وندرمير من مدخل الصدر الأيسر]

لورد وندرمير : بالتأكيد [يذهب يسرة ثم يخرج]

مسز إيرلن : شكراً ! ماعساى أن أصنع ؟ ماعساى أن أصنع ؟ إن عاطفة لم أشعر بها من قبل تستيقظ فى أعماق. ترى أى معنى لذلك ؟ لا يجب أن تقع الابنة فيما وقعت فيه الأم — هذا شنيع . كيف لى أن أنقذها ؟ كيف لى أن أنقذ ابنتى ؟ إن لحظةً واحدة قد تحطم حياة . من أدرى منى بذلك ؟ وندرمير يجب أن يُخرج من البيت . هذا أمرٌ ضرورىٌ للغاية [تذهب نحو اليسار] لكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ يجب أن يتحقق هذا بأية وسيلة . آه !

[يدخل لورد أوجستس من مدخل الصدر الأيمن حاملا باقة الأزهار] .

لورد أوجستس : سيدتى العزيزة . شدّ ما أقاسى من هذا الترقب والانتظار . أما آن لى أن أحظى بردك على طلبى يدك ؟

مسز إيرلن : لورد أوجستس ، أصغ لى ، عليك أن تأخذ لورد وندرمير إلى ناديك فى الحال ، وأن تبقيه هناك أطول وقت ممكن . أفاهم أنت ؟

لورد أوجستس : لكنك قلتِ إنك تودين لى أن آوىَ إلى الفراش مبكراً !

مسز إيرلن : [فى عصبية] افعل ما طلبتُه منك , افعل ما طلبته منك .

لورد أوجستس : وما مكافأتى ؟

مسز إيرلن : مكافأتك ؟ مكافأتك ؟ أوه ! سلنى عنها غداً . لكن لا تَدَعْ وندرمير يغيب الليلة عن بصرك . إن تركته فلن أغفر لك أبداً ، ولن أكلمك بعدها أبداً ، لن يكون لى بك أى شأن . تذكر أن واجبك أن تحتجز وندرمير فى النادى ، وألاّ تدعه يعود الليلة إلى بيته .

[تخرج من اليسار]

لورد أوجستس : حسن ، فى الواقع ، يمكننى الآن بحق أن أعتبر نفسى من الآن زوجها . يمكننى ذلك بكل تأكيد .

[يتبعها فى حالة ارتباك]

يسدل ستار الفصل الثانى

الفصل الثالث

المنظر

فى مسكن لورد دارلنجتن . أريكة ضخمة أمام مدفأة إلى اليمين ، فى مؤخرة المسرح ستار مسدل على نافذة . أبواب إلى اليمين ، وأخرى إلى اليسار . منضدة إلى اليمين عليها أدوات الكتابة . منضدة فى الوسط عليها « سيفون » وأكواب وغير ذلك من أدوات الشراب . منضدة إلى اليسار عليها سيجار وسجائر فى صندوق . المصابيح مضاءة .

ليدى وندرمير : [واقفة إلى جانب المدفأة] لماذا يتأخر قدومه ؟ هذا الانتظار فظيع . كان يجب أن يكون هنا . لماذا لا يكون هنا ليبعث بكلماته المتأججة بعض الدفء فى قلبى ؟ إنى كتلة باردة — باردة كشىء خيلو من الحب . لابد وأن آرثر قد قرأ رسالتى . لو كنت أهمه لجاء فى أثرى ، ولاستعادنى قسرًا . ولكنه لا يهتم لى . إنه واقع

فى حبائل هذه المرأة — مأخوذ بها — خاضع لسلطانها . إذا أرادت امرأة أن تسيطر على رجل ، فما عليها إلا أن ترضى أحط نوازعه . نحن نصنع من الرجال أربابا فيتركوننا . وغيرنا يعاملنهم معاملة الحيوان فيتوددون لهن تودد الكلاب ويخلصون . ألا ما أقبح الحياة ! . . . أوه ! كان جنوناً منى أن آتى إلى هنا ، غاية الجنون . ومع ذلك فلست أدرى أيهما أكثر سوءاً : أن تكون المرأة منا تحت رحمة الرجل الذى يحبها ، أم أن تكون زوجةً لرجل يحقّرها فى بيتها ؟ أية امرأة منا تدرى ؟ أية امرأة فى العالم ؟ لكن هل يدوم حبه ؟ حبُّ هذا الرجل الذى جئتُ أهبه نفسى ؟ وماذا جئتُ أقدم له ؟ شفتين زايلتهما بهجة الابتسام ، وعينين أعشتهما الدموع ، يدين باردتين ، وقلباً متجمداً . ما جئته بشىء يُرتجَى . يجب أن أعود — لا ، لا أستطيع العودة . رسالتى قد مكنت لها منى . آرثر ان يعيدنى . تبًّا لتلك الرسالة

المشئومة ! لا ! لورد دارلنجتن سيبرح انجلترا غداً. سأذهب معه — لا اختيار لى فى الأمر [تجلس لحظات قليلة . ثم تهب ناهضة وتلبس معطفها] لا ، لا ! بل سأعود وليفعل بى آرثر ما يشاء . لا أستطيع البقاء هنا . جنونى ولا شك هو الذى أتى بى . يجب أن أذهب حالاً . أما لورد دارلنجتن — أوه ! هوذا قد أتى ! ماذا أصنع ؟ ماذا يمكن أن أقول له ؟ أتراه يدعنى أخرج أبداً ؟ سمعت الكثير عن وحشية الرجال ... أوه ! [تخفى وجهها فى يديها].

[تدخل مسز إيرلن يساراً].

مسز إيرلن : ليدى وندرمير ! [تجفل ليدى وندرمير وترفع بصرها إليها ، ثم تشيح عنها] شكراً للسماء على وصولى فى الوقت المناسب . يجب أن تعودى فوراً إلى بيت زوجك .

ليدى وندرمير : يجب ؟

مسز إيرلن : [فى لهجة قاطعة] نعم يجب ومن غير أدنى تأخير . قد يعود لورد دارلنجتن فى أية لحظة .

ليدى وندرمير : لا تقتربى منى !

مسز إيرلن : أوه ! لأنتِ على شفا الخراب . أنتِ على حافة هاوية سحيقة . يجب أن تبارحى هـذا المكان حالا . عربتى تنتظر على منعطف الطريق . يجب أن تأتى معى لنعود حالا إلى البيت .

[ليدى وندرمير تخلع معطفها وتطرحه على الأريكة]

ماذا تفعلين ؟

ليدى وندرمير : مسز إيرلن — لو لم تجيئى أنت لعدتُ إلى بيتى . أما الآن بعد أن رأيتك ، أشعر بأن ليس ثمة فى الدنيا بأكملها ما يقنعنى بالحياة مع وندرمير تحت سقف واحد . إنك تملئيننى مقتا . يوجد شىء فيك يثير جوامح غضبى . وإنى لأعلم سر مجيئك . أرسلك زوجى لتغريينى بالرجوع ، ليتخذ منى ستاراً لما يقوم بينكما من علاقات .

مسز إيرلن : أوه ! عساك لا تظنين أن — يستحيل عليك ذلك .

ليدى وندرمير : عودى أدراجك إلى زوجى مسز إيرلن .

إنه الآن لك وليس لى. أحسب أنه يخشى الفضيحة . ما أجبن الرجال . إنهم ينتهكون حرمة كل قانون فى الحياة ، ثم يخشَوْن ألسنة الناس . ولكن ، أولى به أن يتهيَّأ . سيلقى الفضيحة . شر فضيحة ، لم تضج بمثلها لندن منذ سنين . سيجد اسمه فى أحط الصحف ، واسمى فى أوضع النشرات .

مسز إيرلن : لا — لا —

ليدى وندرمير : نعم ! سيكون ذلك لو أنه أتى هو بنفسه ، فلعلنى كنتُ عدتُ معه إلى حياة الامتهان التى هيَّأتماها لى . — لقد كنتُ عازمة على العودة — أما أن يبقى هو فى البيت ، ويرسلك أنت مبعوثة له — أوه ! كان هذا منه عملا شائنا — شائنا .

مسز إيرلن : ليدى وندرمير . أنت تظلمينى ظلماً صارخاً — أنت تظلمين زوجك ظلماً صارخاً . إنه لا يعلم أنك هنا . إنه يعتقد أنك مستقرة آمنة فى بيتك . يظنك نائمة فى حجرتك الخاصة . إنه لم يقرأ البتة تلك الرسالة المجنونة التى كتبتها له !

ليدى وندرمير : [يميناً] لم يقرأها البتة !

مسز إيرلن : البتّة — ولا هو يدرى شيئاً عنها .

ليدى وندرمير : يا لفرط سذاجتى فى نظرك ! [ذاهبة إليها] بل إنك لتكذبين علىّ .

مسز إيرلن : [متمالكة نفسها] لستُ أكذب . إنما أقول لك الحقيقة .

ليدى وندرمير : إذا لم يكن زوجى قد قرأ الرسالة ، ففيمَ إذن وجودك هنا ؟ من أنبأكِ بتركىَ البيتَ الذى دخلتيه بغير استحياء ؟ من أنبأكِ بالمكان الذى قصدتُ إليه ؟ زوجى هو الذى نبّأكِ ، وأرسلك تستدرجيننى للعودة . [تعبر إلى اليسار]

مسز إيرلن : زوجك لم يقع بصره على الرسالة . أنا التى رأيتُها — أنا التى فضضتها — وأنا التى قرأتها .

ليدى وندرمير : [مستديرة إليها] أنت فضضتِ رسالةً منى إلى زوجى ؟ ما أظنك تجرئين .

مسز إيرلن : أجرؤ ! أوه ! فى سبيل إنقاذك من الهوة التى تتردينَ فيها ، ليس فى الوجود شىء لا أقدم عليه . لا شىء فى الوجود كله . هى ذى الرسالة . لم يقرأها

زوجك ، ولن يقرأها أبداً . [متجهة إلى المدفأة] كان يجب ألاّ تُكتب أصلا .
[تمزقها وتلقى بها فى النار]

ليدى وندرمير : [بازدراء متناه فى النظرة والنبرة] وبعد ، فمن أين لى أن تلك كانت رسالتى ؟ يُخيل إليك أننى ممن ينطلى عليهن مثل هذا التدبير المبتذل المكشوف !

مسز إيرلن : أوه ! ما لك لا تؤمنين بكلمة مما أقول؟ لأى غرض تظنيننى أتيت ، إن لم يكن لأنقذك من الخراب الماحق . لأنقذك من وخيم العواقب التى تترتب على غلطتك الشنعاء ؟ تلك الرسالة التى احترقت الآن كانت رسالتك ، أقسم لك على ذلك !

ليدى وندرمير : [فى تؤدة] حرصتِ الحرص كله على إحراقها قبل أن أتبيّن حقيقتها . لا يمكن أن أثق بك . وكيف يمكن أن تُصدق القول عن شىء أنت يا من حياتك كلها كذبة ؟ [تجلس]

مسز إيرلن : [بسرعة] ظنى بى ما طاب لك أن تظنى . قولى عنى ما تشائين ، ولكن عودى ،

عودى إلى الزوج الذى تحبين .

ليدى وندرمير : [فى امتعاض وتجهم] أنا لا أحبه .

مسز إيرلن : بل تحبينه وتعلمين أنه يحبك .

ليدى وندرمير : إنه لا يفهم معنى الحب . إنه يفهم بالقدر الضئيل الذى تفهمينه أنت — لكننى أدرك قصدك . فى إرجاعك إياى كسبٌ عظيم لك . يا للسماء ! أية حياة أحيا إذن ! حياة تحت رحمة امرأة عدمت كل رحمة وإشفاق ، امرأة لقاؤها مشين ، وفى معرفتها حطة ، امرأة خسيسة ، امرأة تحول بين زوجين !

مسز إيرلن : [فى حركة من اليأس والقنوط] ليدى وندرمير ، ليدى وندرمير ، لا تقولى مثل هذه الأشياء الفظيعة . إنك لا تعرفين كم هى فظيعة ، وجائرة . أصغى إلىّ ، يجب أن تُصغى ! فقط عودى إلى زوجك ، وأنا أعدك بأننى لن أعاود الاتصال به لأى سبب ، لن أراه ، لن أعترض حياته أو حياتك . المال الذى وهبنى إياه ، لم يعطنيه عن حب ، بل عن كراهية ، لا عن عبادة ، بل عن احتقار .

إن سيطرتى عليه إنما هى من ناحية —

ليدى وندرمير : [ناهضة] آه ! تعترفين إذن بأن لك سيطرة عليه !

مسز إيرلن : نعم . وسأخبرك ما هى . هى حبه لك ليدى وندرمير .

ليدى وندرمير : أتنتظرين منى أن أصدق ذلك ؟

مسز إيرلن : بل يجب أن تصدقيه ! إنه الحقيقة . هو حبه لك الذى جعله يخضع لـ — أوه ! سميه ما شئت ، استبدادا ، وعيدا ، أىّ شىء تختارين . ولكنه حبه لك . رغبته فى تجنيبك — العار ، نعم ، العار وسقوط الاعتبار .

ليدى وندرمير : ماذا تعنين ؟ إنك لوقحة ! أى شأن لى بك ؟

مسز إيرلن : لا شأن . أعرف ذلك — لكنى أخبرك أن زوجك يحبك — أنك لن تصادفى مثل هذا الحب طول حياتك — لن تصادفى مثل هذا الحب طول حياتك — أن هذا الحب إن أنت ضيعته من يدك ، فسيأتى يوم فيه تتلهفين عليه دون أن يتداركك

به أحد . تستخدينه فيأبونه عليك . أوه ! إن آرثر يحبك !

ليدى وندرمير : آرثر ؟ وتقولين بألا شيء بينكما ؟

مسز إيرلن : ليدى وندرمير ، أشهد السماء على أن زوجك بريء من كل ما يسوؤك . وأنى — أنى لأخبرك أن لو توقعت أن مثل هـذا الشك المروع قد يغشى خاطرك ، لكان الموت أهون على نفسى من أن أعترض حياتك أو حياته ، أوه ! بل لأحسستُ السعادة فى ذلك الموت .

[تدرج نحو الأريكة يميناً]

ليدى وندرمير : تتكلمين كما لو كان لك قلب . مثيلاتك من النساء لا قلب لهن . لا يمكن أن يكون لك قلب وأنت سلعة تشترى وتباع .

[تجلس فى المنتصف يساراً]

مسز إيرلن : [تنفعل انفعالة ألم . ثم تتمالك نفسها ، وتقبل على ليدى وندرمير حيث تجلس . وفى أثناء حديثها تمد ذراعيها نحوها ، ولكنها لا تجرؤ على لمسها]

ظنى بى ما تشائين . لستُ جديرةً بأيسر الرثاء . لكن ، لا تحطمى حياتك الفتية المجيدة بسببى ! لن تتفادىَ ما قد يكون

فى انتظارك من مُخبَّآتِ القدَر ،
إلا إذا تركتِ هذا البيت حالا . إنك
لا تعرفين ما التردى فى الهاوية ،
ما الاحتقار والسخرية ، إعراض الناس ،
وتعريضهم الجارح . سيلفظك المجتمع
ويغلق بابه فى وجهك . ستتسللين فى أبشع
الطرق الجانبية الملتوية ، خائفة أن
يفتضح أمرك . ستقرع سمعك طوال
الوقت ضحكات العالم ، ضحكاته المرة .
إنها لفجيعة تهون بجانبها كل الفجائع التى
استدرت من الخلق الدموع . آه
لو تعرفين الدنيا ! يدفع المخطىء ثمن
خطيئته ، ويدفع ثانية ، ويظل يدفع
طوال عمره . يجب ألا تتعرضى لكل
ذلك . أما فيما يتعلق بى ، فلو أن مقاساة
الألم تكفير عن الخطيئة ، لكفَّر ما أقاسيه
فى هذه اللحظة فقط ، عن كل ما جنيت
مهما بلغ . إذ أنك الليلة خلقتِ قلباً لمن
لم يكن لها قلب . خلقتِه ، ثم حطمتِه .
ولكن لندع هذا جانباً . لئن كنتُ قد
هدمتُ حياتى ، فلن أدعكِ تهدمين

حياتك . أنت — ما أنت إلا طفلة . ستذهبين ضياعاً ، وليس لك من سعة الحيلة ما يمكنك من الرجوع . ليس لك ما يلزم من حصافة وإقدام . إنك لن تطيقى المهانة والتحقير ! لا ! عودى ليدى وندرمير ، إلى الزوج الذى يحبك والذى تحبين . إن لك لطفلاً ، ليدى وندرمير . عودى إلى ذلك الطفل ، الذى قد يكون فى هذه اللحظة — متألماً كان أو مسروراً — لا ينفك عن مناداتك.

[ليدى وندرمير تنهض] لقد منحك الله ذلك الطفل ، وفرض عليك العمـــل على إسعاده ، والسهر عليه . بماذا تجيبين الله اذا تخربت حياته بسببك ؟ عودةً إلى بيتك ليدى وندرمير — فزوجك يحبك ! ما جاد لحظة عن الحب الذى يكنه لك . ولكن ، حتى لو حاد وكان له ألف حب ، لوجب عليك أن تبقىْ بجانب طفلك . مهما قسا عليك ، لوجب عليك أن تبقىْ بجانب طفلك . مهما أساء إليك ، لوجب عليك أن تبقىْ بجانب

طفلك . حتى لو هجرك ، فإن مكانك
إلى جانب طفلك .

[ليدى وندرمير تجهش بالبكاء وتدفن وجهها
فى راحتيها] [مسز إيرلن مندفعة إليها]
ليدى وندرمير !

ليدى وندرمير : [مادة إليها يدين تطلبان العون ، تماماً كما يفعل
الأطفال] خذينى إلى بيتى . خذينى
إلى بيتى .

مسز ايرلن : [تهم باحتضانها لكنها تمالك نفسها فلا تفعل ،
ويبدو فى عينيها ما يأتلق به وجهها من بشر]
هيا . تعالىْ ! أين معطفك ؟ [تتناوله من
على الأريكة] هو ذا . إلبسيه . هيا فى الحال !

[تذهبان إلى الباب]

ليدى وندرمير : قفى ! ألا تسمعين أصواتاً ؟

مسز إيرلن : لا ، لا ! لا أحد !

ليدى وندرمير : بل إن هناك أحداً ! أنصتى ! أوه !
ذلك صوت زوجى ! إنه قادم إلى هنا ،
أنقذينى ! أوه ، إنها لمكيدة ! هى أنت
التى أرسلت تستدعينه [أصوات فى الخارج]

مسز ايرلن : اسكتى ! أنا هنا لأنقذك إن استطعت .
أخشى أن تكون الفرصة قد أفلتت .
اختبئى هناك [تشير إلى الستار المسدل على النافذة]

أفلتى عند أول فرصة . إن سنحت لك فرصة !

ليدى وندرمير : وأنتِ ؟

مسز إيرلن : لا تهتمى بى . سأواجههم [ليدى وندرمير تختبىء خلف الستار] .

لورد أوجستس : [من الخارج] هراء يا عزيزى وندرمير . يجب ألا تفارقنى !

مسز إيرلن : لورد أوجستس ! إذن فهى أنا من ضُيِّعَتْ ! [تتردد لحظة ، ثم تتلفت حواليها فتبصر بباب اليمين وتخرج منه] [يدخل لورد دارلنجتن ، مستر دمبى ، لورد وندرمير ، لورد أوجستس لورتن ومستر سيسيل جراهام] .

دمبي : يا له من إزعاج أن يضطرونا إلى الخروج بسبب إغلاق النادى فى هذه الساعة . إنها لم تتعد الثانية [يغوص فى كرسى] إنما يبدأ الليل حياته الآن فقط .

[يتثاءب ويغمض عينيه]

لورد وندرمير : إنه تفضل كبير منك لورد دارلنجتن أن سمحت لأوجستس أن يفرض عليك اجتماعنا عندك . لكنى أخشى ألا أستطيع أن أظل طويلا .

لورد دارلنجتن : حقاً ! آسف غاية الأسف ! ألك فى سيجار ؟

لورد وندرمير : شكراً ! [يجلس]

لورد أوجستس : [إلى لورد وندرمير] يا فتاى العزيز ، لا تحلم بالذهاب ، فلدىّ أمور كثيرة أريد التحدث معك فيها . أمور من الأهمية بمكان فظيع يا للعنة ! [يجلس معه يسار المنضدة]

سيسيل جراهام : أوه ! نعلم جميعاً ما هى تلك الأمور . تَبِيّ لا يستطيع التحدث عن أى شىء ما عدا مسز إيرلن .

لورد وندرمير : ليس هذا من شأنك سيسيل ، أليس كذلك ؟

سيسيل جراهام : أبداً . وهذا هو السبب فى أنه يروق لى . مشاغلى الخاصة تكاد تُزهق روحى . لذلك أفضل مشاغل الغير .

لورد دارلنجتن : عليكم بالشراب أيها الأصدقاء . ويسكى بالصودا سيسيل ؟

سيسيل جراهام : شكراً . [يقصد إلى المنضدة مع لورد دارلنجتن] لكم بدت رائعة مسز إيرلن ، أليس كذلك ؟

لورد دارلنجتن : لست من المعجبين بها .

سيسيل جراهام : كذلك كنتُ أنا . ولكننى الآن معجب بها . تصور أنها حملتنى على تقديمها

إلى عمتى العزيزة المسكينة كارولين . وأعتقد أنها ستتناول الغداء هناك .

لورد دارلنجتن : [فى اندهاش] لا ؟

سيسيل جراهام : حقيقة .

لورد دارلنجتن : معذرة أيها الأصدقاء فإنى راحل غداً ، وعلىّ أن أكتب بعض الرسائل .

[يذهب إلى منضدة الكتابة ويجلس إليها]

دمبى : امرأة داهية مسز إيرلن .

سيسيل جراهام : « هالّلو » دمبى ! ظننتك نائماً .

دمبى : وإنى لكذلك بالفعل . إنى أنام عادة !

لورد أوجستس : امرأة داهية جداً . تعلم علم اليقين أىّ معتوه فظيع أنا — تعرفنى كما أعرف نفسى تماماً . [يقبل عليه سيسيل جراهام ضاحكا] آه بوسعك أن تضحك يا صغيرى . لكن اعلم أنه لشىء عظيم أن يصادف الإنسان امرأة تفهمه تماماً .

دمبى : بل إنه لشىء بالغ الخطورة . لأن تمام فهم المرأة للرجل منته بها إلى الزواج منه .

سيسيل جراهام : لكننى ظننت تبنّى أنك عوّلت على ألاّ تراها أبداً ! نعم ! قلتَ لى ذلك

أمس ونحن فى النادى . قلت إنك سمعت
عنها — [هامساً فى أذنه]

لورد أوجستس : أوه ، لقد شرحت لى الأمر .

سيسيل جراهام : وحكاية « ڤيزبادن » ؟

لورد أوجستس : وشرحت ذلك أيضاً .

دمبى : ودخلها تبى ؟ هل شرحت لك ذلك ؟

لورد أوجستس : [فى نبرات فياضة بالجد] ستشرح ذلك غداً .

[سيسيل جراهام يرجع إلى منضدة الوسط]

دمبى : يا لهن من نفعيات نساء هذا العصر ! نفعيات بشكل شنيع . جداتنا كن يفتنهن الرجال ، أما حفيداتهن فوالله ما ينشدنهم إلا ابتغاء ما وراءهم من نفع لهن .

لورد أوجستس : تريد أن تصورها على أنها شريرة . إنها ليست كذلك .

سيسيل جراهام : أوه ! الشريرات من النساء يزعجن ، والصالحات منهن يُضجرن . هذا كل ما بين الفئتين من فرق .

لورد أوجستس : لمسز إيرلن مستقبل أمامها . [مدخنا سيجارا]

دمبى : ولمسز إيرلن ماض خلفها .

لورد أوجستس : أفضل من النساء ذوات الماضى . فإن

فى محادثتهن تسلية لاينضب معينها يا للعنة.

سيسيل جراهام : إذن فما أكثر المواضيع التى ستدور حولها أحاديثكما تبى . [ناهضاً وذاهباً إليه]

لورد أوجستس : إنك آخذ فى الإزعاج يا فتاى العزيز . آخذ فى الإزعاج يا للعنة !

سيسيل جراهام : [يضع يديه على كتفه] هيا ، تبى ، لقد أضعت قوامك وسمعتك ، فلا تضع حُلُمك فليس لك غيره .

لورد أوجستس : يا فتاى العزيز ، لولم أكن أكثر أهل لندن دعةً ولينَ عريكة —

سيسيل جراهام : لعاملناك باحترام أشد مما نعاملك به الآن . أليس كذلك تبى ؟ [يتحول متبعداً عنه]

دمبى : شباب اليوم شياطين . إنهم لا يحملون ذرة من الاحترام لذوى الرءوس المصبوغة .

[لورد أوجستس يتلفت حواليه ممتعضاً]

سيسيل جراهام : مسز إيرلن تحْمِيلُ لعزيزنا تبى أعظم الاحترام .

دمبى : إذن فمسز إيرلن تضرب لكل من عداها من بنات جنسها مثلا رائعاً . فإنها لطريقة وحشية تلك التى يعامل بها معظم نساء

اليوم ، من ليسوا بأزواجهن .

لورد وندرمير : دمبى إنك لسخيف وعابث . وأنت يا سيسيل أراك أفلتَّ زمام لسانك فجمح بك . يجب أن تدعا مسز ايرلن وحالها . فى الحق أنكما لا تعرفان شيئاً عنها ، ومع ذلك لا تكفان عن اغتيابها .

سيسيل جراهام : [مقبلا عليه إلى يسار المنتصف] يا عزيزى آرثر أنا لا أفترى أبداً . إنما أروى فقط ما يتداوله الناس من شائعات .

لورد وندرمير : وأى فرق بين الافتراء والثرثرة ؟

سيسيل جراهام : أوه ! الثرثرة شىء ممتع أحياناً . وما التاريخ إلا مجرد ثرثرة . أما الافتراء فهو ثرثرة جعلها العرف الخلقىُّ مُضجرة . وليس من شأنى الآن التحدث عن مكارم الخلق . فالرجل الذى يتشدق بمكارم الأخلاق هو عادة مراءٍ منافق ، والمرأة التى تفعل ذلك هى حتماً من العاطلات من الجمال . وليس فى العالم كله شىء لا يلائم المرأة مثل خروجها على ما اصطلحت عليه الجماعة . ويسعدنى أن غالبية النساء يعلمن ذلك .

لورد أوجستس : هذا هو رأيي تماماً يا فتاى العزيز . هذا هو رأيي تماماً .

سيسيل جراهام : يؤسفنى أن أسمع ذلك ، تبى . فكلما اتفق الناس معى فى رأى ، أيقنتُ أنى لابد مخطىء .

لورد أوجستس : يا فتاى العزيز ، عندما كنت فى سنك ـ

سيسيل جراهام : ولكنك لم تكن أبداً فى سنى تبىّ ، ولن تكون [يصعد إلى المنتصف] اقترح دار لنجتن أن نلعب قليلا بالورق . ستلعب آرثر أليس كذلك ؟

لورد وندرمير : كلا أشكرك سيسيل .

دمبى : [فى تنهدة] يا للسماوات الرحيمة ! لشد ما يهدم الزواج الرجال . إنه مُثَبِّطٌ كالسجائر إلا أنه أغلى ثمناً .

سيسيل جراهام : ستلعب بالطبع تبىّ ؟

لورد أوجستس : [يصب لنفسه قدحاً من البراندى على المنضدة] لا أستطيع يافتاى العزيز . وعدْت مسز إيرلن ألاّ ألعب ، وألاّ أشرب .

سيسيل جراهام : حذار يا عزيزى تبىّ . لاتدع أحداً يزج بك فى مجاهل الفضيلة . فإنك لوصلحْت لأصبحت ثقيلا مملا . ذلك شر ما فى النساء .

يُردن دائماً للرجل أن يكون صالحاً .
وإذا نحن كنا صالحين عندما يلاقيننا ،
لا يحببننا بالمرة . فالذى يحلولهن هو أن
يجدننا فاسدين فساداً لا غناء فيه ،
ويتركننا طيبين طيبة لا تستهوى امرأة .

لورد دارلنجتن : [ناهضاً من مكانه إلى يمين المنضدة حيث كان يكتب رسائله] إنهن يجدننا دائما فاسدين !

دمبى : ما أظننا فاسدين . أعتقد أننا جميعاً صالحون ، ما عدا تبى .

لورد دارلنجتن : لا . نحن جميعاً فى الوحل ، ولكن بعضنا يتطلع إلى السماء . [يجلس فى منتصف المنضدة]

دمبى : نحن جميعاً فى الوحل ولكن بعضنا يتطلع إلى السماء ؟ وشرفى إنك خيالى حالم هذه الليلة دارلنجتن .

سيسيل جراهام : وأى خيالى حالم ! لابد وأنك محب . مَن فتاة الأحلام ؟

لورد دارلنجتن : المرأة التى أحب ليست طليقة ، أو هى تعتقد ذلك [تقع عيناه لا إراديا على لورد وندرمير أثناء كلامه]

سيسيل جراهام : امرأة متزوجة إذن ! ليس فى الوجود مثل إخلاص المرأة المتزوجة . وإنه

لأمر ، ليس فى الرجال المتزوجين إلا من هو محروم منه .

لورد دار لنجتن : أوه ! إنها لا تحبنى . إنها امرأة صالحة . إنها الفاضلة الوحيدة التى صادفتها طوال حياتى .

سيسيل جراهام : الفاضلة الوحيدة التى صادفتها طوال حياتك ؟

لورد دار لنجتن : نعم .

سيسيل جراهام : [مشعلا سيجارة] إذن فأنت إلفٌ سعيد الحظ ! أما أنا فقد قابلت مئات من النساء الفضليات . أكاد لا ألقى غير النساء الفضليات . إنهن يزحمن العالم تماما . والتعرف بهن من شأن عقلية الطبقة الوسطى .

لورد دار لنجتن : هذه المرأة فيها طهر وبراءة . يتوفر لها كل مافقدناه نحن الرجال .

سيسيل جراهام : ياصديقى العزيز ، وما عسانا فاعلين نحن الرجال بالطهر والبراءة فى هذه الدنيا ؟ إن زهرة تُحْسِنُ اختيارها لعروتك لأجدى عليك .

دمبى : أفى الحق أنها لاتحبك ؟

لورد دار لنجتن : لا . لاتحبنى !

دمبى : أهنئك بذلك ياصديقى العزيز . فى هذه

الدنيا تقوم فاجعتان . الأولى ألاّ ينال الإنسان بغيته . والثانية أن يناله . والفاجعة الأخيرة هى الأدهى . إنها فاجعة حقة . على أنه يمتعنى أن أسمع أنها لا تحبك . كم من الوقت تستطيع أن تحب امرأة لاتحبك سيسيل ؟

سيسيل جراهام : امرأة لا تحبنى ؟ أوه ، أحبها طول عمرى .

دمبى : وكذلك أنا . ولكنه من الصعب جدا على مثلى أن يلقى واحدة من هذا النوع .

لورد دارلنجتن : كيف يمكن أن تكون مغرورا إلى هذا الحد دمبى ؟

دمبى : لم أقل ذلك عن غرور وإنما عن أسف . لقد كان النساء مدلهات القلب من حبى إلى حدّ الجنون . يؤسفنى ذلك . فقد سبب لى ضجرا عظيما . تمنيت لو أنهن تركننى أخلد إلى نفسى لحظة بين وقت وآخر .

لورد أوجستس : [متلفتاً حواليه] لحظة تتعلم فيها على ما أعتقد .

دمبى : بل لحظة أنسى فيها كل ما تعلمت . إن ذلك لأجدى وأهم يا عزيزى تبيّ .

[لورد أوجستس يتحرك متململا فى كرسيه]

لورد دارلنجتن : ما أشد استهتاركم أيها الأصدقاء !

سيسيل جراهام : من هو المستهتر ؟ [جالساً على ظهر الأريكة].

لورد دارلنجتن : هو الذى يعرف ثمن كل شىء ، ولا يقدر قيمة لشىء .

سيسيل جراهام : والرجـــل العاطفى يا عزيزى لورد دارلنجتن ، هو الذى يرى قيمة كبرى لكل شىء ، ولا يعرف سعر السوق لأى شىء .

لورد دارلنجتن : إنك تسلينى دائماً سيسيل . تتحدث كما لوكنت رجلا مجرباً .

سيسيل جراهام : وإننى لكذلك [يبعد حتى يصبح أمام المدفأة]

لورد دارلنجتن : إنك ما زلت صغيراً جداً .

سيسيل جراهام : ذاك خطأ كبير . ليست التجربة إلا مسألة غريزة تحس الحياة . وهى متوفرة عندى. أما تبيٌّ فهى منعدمة عنده . إن التجربة هى الاسم الذى يسمى به تبيٌّ أخطاءه . هذا كل ما فى الأمر .

[لورد أوجستس يتلفت حواليه مستنكراً]

دمبى : يسمى الناس كل أخطائهم بالتجارب .

سيسيل جراهام : [موليا ظهره المدفأة] كان الواجب ألاٌّ يخطىء أحد. [يرى مروحة ليدى ونرمير على الأريكة]

دمبى : إن الحياة تكون كئيبة لو خلت من الأخطاء .

سيسيل جراهام : وبالطبع أنت مخلص جداً لهذه المرأة التى تُحب يا لورد دارلنجتن . لهذه المرأة الفاضلة ؟

لورد دارلنجتن : سيسيل ، إذا أحب الإنسان امرأة حباً صادقاً ، فإن جميع النساء سواها لا يعنين شيئاً عنده . الحب يغير الإنسان وها أنذا قد تغيرت .

سيسيل جراهام : يا عجبا ! ما أمتع هـــذا ! تبيً ، لى كلمة معك .

[لورد أوجستس وكأنه لا يسمع]

دمبى : لا فائدة من التحدث إلى تبيً . كأنك إذ تحادثة تحادث حائطاً .

سيسيل جراهام : ولكنى أحب أن أتحدث إلى حائط — إذ أنه الشىء الوحيد الذى لا يعارضنى ! تبيً !

لورد أوجستس : وبعد ، ماذا تريد ؟ ماذا تريد ؟

[ناهضاً وذاهبا إلى سيسيل جراهام]

سيسيل جراهام : تعال هنا . فإنى أريدك فى حديث خاص.

[جانباً] دارلنجتن ، بينما يتحدث عن الفضائل والحب العذرى وما إلى ذلك ، تختفى فى داره امرأة .

لورد أوجستس : لا، حقاً ! حقاً !

سيسيل جراهام : [في صوت خفيض] نعم ، وهذه مروحتها .
[يشير إلى المروحة]

لورد أوجستس : [يكتم ضحكاته التي تنفلت من ثنايا فمه المنطبق]
وحق الإله ! وحق الإله !

لورد وندرمير : [أعلى المسرح عند الباب] حقاً إني أعتزم الرحيل الآن لورد دارلنجتن. إني آسف لرحيلك عن انجلترا بهذه السرعة. أرجو أن تزورنا بمجرد عودتك ! زوجتي وأنا نكون مسرورين جداً برؤيتك .

لورد دارلنجتن : [أعلى المسرح مع لورد وندرمير] أخشى أن تطول غيبتي لسنوات عديدة. طاب ليلك !

سيسيل جراهام : آرثر !

لورد وندرمير : ماذا ؟

سيسيل جراهام : أريد أن أتحدث إليك لحظة . لا، بل تعال !

لورد وندرمير : [مرتديا معطفه] لا أستطيع — إني راحل !

سيسيل جراهام : إنه أمر في غاية الأهمية . ولا شك في أنه سيسرك كثيراً .

لورد وندرمير : [مبتسماً] إنه شيء من تُرَّهاتك سيسيل.

سيسيل جراهام : لا. ليس الأمر كذلك صدقني .

لورد أوجستس : [قاصداً إليه] يا فتاى العزيز ، ما آن لك بعد أن ترحل ، فما زال عندى الكثير لأحادثك فيه . وسيسيل يريد أن يُريك شيئاً .

لورد وندرمير : [متقدما إليه] حسن . ماهو ذلك الشئ ؟

سيسل جراهام : دار لنجتن عنده امرأة هنا فى بيته . أجل هذه مروحتها . شئ مُسل أليس كذلك ؟ [صمت]

لورد وندرمير : يا إله الرحمة [يمسك بالمروحة . ثم ينهض]

سيسل جراهام : ما الخبر ؟

لورد وندرمير : لورد دار لنجتن !

لورد دار لنجتن : [مستديراً] نعم !

لورد وندرمير : ما شأن مروحة زوجتى هنا فى مسكنك ؟ ارفع يدك عنى سيسل . لاتلمسنى .

لورد دار لنجتن : مروحة زوجتك ؟

لورد وندرمير : نعم وهاهى ذى !

لورد دار لنجتن : [ماشياً إليه] لا أعرف !

لورد وندرمير : بل لابد أن تعرف . وأسألك الإيضاح . لا تمسكنى أيها المجنون [لسيسل جراهام]

لورد دار لنجتن : [جانباً] إنها هنا على كل حال .

لورد وندرمير : تكلم ياسيدى ! لماذا توجد مروحة زوجتى هنا ؟ أجبنى ! بربى لأفتشن حجراتك . ولئن تكن زوجتى هنا ، فلابد لى — [يتحرك]

لورد دارلنجتن : إنك لن تفتش حجراتى . لاحق لك فى ذلك . إنى مانعك !

لورد وندرمير : أيها الوغد ! لن أبرح حتى أفتش كل ركن هنا ! ما الذى يتحرك خلف هذا الستار ؟ [يندفع نحو الستار فى المنتصف]

مسز إيرلن : [تدخل من الخلف يمينا] لورد وندرمير !

لورد وندرمير : مسز إيرلن !

[يستوقف ذلك كل من كان حاضرا ، ويستديرها ليدى وندرمير تنفلت منسلة خارجة من وراء الستار ، بارحة الغرفة يسارا]

مسز إيرلن : أخشى أن أكون قد أخذت مروحة زوجتك بدل مروحتى خطأ ، عندما فارقت منزلك هذه الليلة . آسفة لذلك أشد الأسف .

[تأخذ المروحة منه . لورد وندرمير يحدجها بنظرة ملؤها الازدراء . لورد دارلنجتن يعتمل فيه الغضب والدهشة . لورد أوجستس يشيح بوجهه . يتبادل الآخران الابتسام]

[وينسدل على ذلك ستار الفصل الثالث]

الفصل الرابع

المنظر

نفس المنظر فى الفصل الأول

ليدى وندرمير : [مستلقية على الأريكة] .
كيف أستطيع أن أخبره ؟ إننى لا أستطيع .
إن فى ذلك قضاءً علىّ . ترى ماذا حدث
بعد أن هربتُ من تلك الحجرة الفظيعة .
فلقد تكون أخبرتهم بالسبب الحقيقى
فى وجودها هناك ، وبالسر الحقيقىّ
فى وجود مروحتى المشئومة . أوه ،
لو أنه يعلم — كيف يمكن لعينىّ أن تلاقيا
عينيه ثانية ؟ إنه لن يغفر لى أبداً .
[تقرع الجرس] لكم يظن الإنسان أنه
يعيش آمناً بعيداً عن متناول الإغراء
والخطيئة والهيام . ثم فجأة — أوه !
الحياة فظيعة . إنها تتحكم فينا ، ولا نملك

نحن من أمرها شيئاً .

[تدخل روزالى]

روزالى : هل قرعتِ سيادتك الجرس تستدعينى ؟

ليدى وندرمير : نعم . هل عرفتِ متى عاد لورد وندرمير البارحة ؟

روزالى : سيادته لم يعد قبل الخامسة صباحاً .

ليدى وندرمير : الخامسة ؟ وطرق باب حجرتى هذا الصباح أليس كذلك ؟

روزالى : أجل يا سيدتى — فى منتصف الساعة العاشرة صباحاً . أبلغته أن سيادتك لم تستيقظى بعد .

ليدى وندرمير : وهل قال شيئاً ؟

روزالى : نعم . شيئاً عن مروحة سيادتك . على أنى لم أتبين تماماً ما قاله سيادته . هل فقدتِ المروحة يا سيدتى ؟ إنى لم أقف لها على أثر . و« باركر » يقطع بأنها لم تُتْرك فى أية حجرة من الحجرات بحال . إنه عبثاً فتش عنها فى كل مكان . حتى فى الشرفة .

ليدى وندرمير : لا ضير . وأخبرى « باركر » ألاّ يزعج نفسه . هذا كل ما أردت . [تخرج روزالى]

[تنهض ليدى وندرمير] هى قمينة بأن تخبره .
يمكننى أن أتصور شخصاً يبذل النفس
فى تضحية مجيدة باختيار واندفاع ونبل —
وبعد ذلك يستبين له أن التضحية كلفته
غالياً — ماذا تراه يجعلها تتردد بين
ضياعها وضياعى ؟ . . . يا للعجب !
كنتُ قد انتويتُ أن ألحق بها الخزى
والعار على ملأٍ فى بيتى ، وهى ترتضى
افتضاحها علناً فى بيت آخر لإنقاذى . . .
إن فى الأمور لسخرية مُرّة . سخرية مرة
من طريقتنا فى الحكم على امرأة بأنها
صالحة أو طالحة . . . أوه ، يا له من
درس ! ويا أسفا أننا فى الحياة لانتلقىّ
دروسنا إلا بعد أن تصبح لا نفع فيها لنا
ولا غناء ! لأنها حتى إذا امتنعت هى عن
القول ، فواجبى أنا أن أقول . أوه !
أى عارٍ فى ذلك ! أى عار ! إذا روّيتُ
ما جرى ، عشتُ أحداثه الرهيبة ثانية .
إن فعل الشىء هو المأساة الأولى
فى الحياة . وروايتنا له هى المأساة الثانية .
إن الكلام لشىءٌ أدهى وأمر . الكلام

لا رحمة فيه ... أوه [تجفل إذ يدخل لورد وندرمير] .

لورد وندرمير : [يقبلها] مارجريت — ما أشد شحوبك !

ليدى وندرمير : نمت نوماً مضطرباً .

لورد وندرمير : [جالساً معها على الأريكة] إنى لشديد الأسف . عدتُ متأخراً تأخراً منكراً ، ولم أشأ أن أوقظك . أراك تبكين ياعزيزتى .

ليدى وندرمير : نعم أبكى ، إن لدى ما أقول لك آرثر .

لورد وندرمير : ياطفلتى العزيزة . أنت متوعكة . لقد أرهقت نفسك كثيراً . لنبرح معاً إلى الريف . ستكونين على أحسن حال فى « سلبى » . لقد كاد الموسم أن ينتهى فلا طائل فى بقائنا فى لندن . حبيبتى المسكينة ! سنرحل اليوم إذا شئتِ [ينهض] نستطيع فى يسرٍ أن نسافر فى قطار الساعة الثالثة والدقيقة الأربعين . سأبرق إلى « فانن » [يعبر ويجلس إلى المنضدة ليكتب صيغة البرقية]

ليدى وندرمير : نعم فلنسافر اليوم . لكن لا . لا أستطيع الرحيل اليوم آرثر . هنا شخص يتحتم علىّ أن أراه قبل أن أرحل — شخص شملنى بعطفه .

لورد وندرمير : [ناهض ، ثم يميل متكئاً على الأريكة] شملك بعطفه ؟

ليدى وندرمير : بل وأكثر من ذلك بكثير . [تنهض وتذهب إليه] سأخبرك آرثر ، على أن تحبنى ، تحبنى كما كنت تحبنى .

لورد وندرمير : كما كنت أحبك ؟ لعلك لا تفكرين فى تلك المرأة الشقية التى جاءت هنا البارحة ؟ [يلف ويجلس عن يمينها] أما زلت تتخيلين — لا ، لا يمكنك ذلك .

ليدى وندرمير : أنا لا أتخيل شيئا . عرفتُ الآن أننى كنتُ مخطئة وحمقاء .

لورد وندرمير : بل كان تكرما منكِ أن سمحتِ باستقبالها البارحة — على أنه لا ينبغى أن تريها بعد اليوم .

ليدى وندرمير : لِمَ تقولُ ذلك ؟ [فترة صمت]

لورد وندرمير : [ممسكاً بيدها] مارجريت ، كنتُ أعتقد أن مسز إيرلن امرأة مجنىٌّ عليها أكثر منها جانية ، على حد قولهم . كنت أعتقد أنها تريد حقاً أن تكون امرأة فاضلة ، وأن تعود إلى مكانةٍ ضيَّعتْها فى لحظة طيش ، أن تستأنف من جديد حياةً كريمة .

صدقتها فيما زعمت – فأخطأتُ فهم حقيقتها . إنها لفاسدة ، كأفسد ما تكون امرأة .

ليدى وندرمير : آرثر ، آرثر ، لا تتحدث بمثل هذه القسوة عن أية امرأة . لم أعد أرى اليوم أن يُقسَّمَ الناس إلى صالح وطالح ، وكأنهما كائنان متباينان فى الجنس والخلقة . قد يكون فيمن ندعوهن بالصالحات رذائل مفزعة ، مثل نزوات الطيش ، وتوكيد الشخصية ، والغيرة ، والخطيئة . أما النساء الطالحات كما يطلق عليهن ، فقد يكون فيهن فضائل الأسى ، والندم ، والرحمة ، والتضحية . وإنى لا أعدُّ مسز إيرلن امرأة سوء أبداً . إذ أعلم أنها ليست كذلك .

لورد وندرمير : يا طفلتى العزيزة ، تلك امرأة ميئوس منها . وبصرف النظر عما قد تحاول إلحاقه بنا من الأذى ، يجب ألاَّ تريها بعد اليوم . إنها منبوذة حيثما تكون .

ليدى وندرمير : لكننى أريد أن أراها . أريد أن تجىء هنا .

لورد وندرمير : أبداً !

ليدى وندرمير : لقد دخلتَ هنا مرةً بوصفها ضيفتك . الآن يجب أن تدخله بوصفها ضيفتى . بهذا تقضى المساواة .

لورد وندرمير : كان يجب ألاَّ تدخل إلى هنا أبداً .

ليدى وندرمير : [ناهضة] آرثر ، هذا قول فات أوانهُ . [تبتعد عنه]

لورد وندرمير : [ناهضاً] مارجريت ، لو عرفتِ أين كانت مسز إيرلن البارحة بعد أن تركتَ هذا البيت ، لاستنكفتِ من أن يجمعك بها مكان واحد . كان الموقف كله فاجرا كل الفجور .

ليدى وندرمير : آرثر ، لم أعد أحتمل أكثر من ذلك . يجب أن أخبرك . البارحة —

[يدخل باركر ومعه صينية عليها مروحة ليدى وندرمير ، وبطاقة] .

باركر : مسز إيرلن أنت ترد لسيادتك مروحتك التى كانت قد أخذتها خطأ الليلة الماضية . ولقد كتبت لسيادتك رسالة على هذه البطاقة .

ليدى وندرمير : أوه ، سل مسز إيرلن أن تتكرم بالصعود [تقرأ البطاقة] قل إنى سأسَرُّ

كثيراً بمرآها . [يخرج باركر] تريد أن ترانى آرثر .

لورد وندرمير : [يتناول البطاقة وينظر إليها] مارجريت ، أرجوك ، لا تفعلى . دعينى أقابلها أنا أولا على أية حال . إنها امرأة جِدُّ خطرة . بل هى أخطر من عَرَفْتُ من النساء . أنتِ لا تقدرين عاقبة ما تصنعين .

ليدى وندرمير : من الصواب أن أصِرَّ على لقائها .

لورد وندرمير : يا طفلتى ، قد تكونين على شفا نكبة كبرى ، لا تتقدمى نحوها . من الضرورة القصوى أن أراها أنا قبلك .

ليدى وندرمير : ولماذا يكون هذا ضرورياً ؟

[يدخل بركر]

باركر : مسز إيرلن .

[تدخل مسز ايرلن]

[يخرج باركر]

مسز إيرلن : كيف أنتِ ليدى وندرمير ؟ [للورد وندرمير] كيف حالك ؟ أتعرفين ليدى وندرمير كم أنا آسفة بخصوص مروحتك . لا أستطيع أن أتصور كيف ارتكبت مثل هذه الغلطة الحمقاء . لشد ما كان

غبائى . وبما أننى كنت منطلقة بعربتى على طريقكم ، خطر لى أن أنتهز الفرصة لأعيد إليك بنفسى مروحتك مع مزيد اعتذاراتى عما فرط من إهمالى ، وكذلك لأودعك .

ليدى وندرمير : تودعيننى ؟

[تقصد إلى الأريكة مع مسز إيرلن وتجلس إلى جانبها]

أأنت راحلة مسز إيرلن ؟

مسز إيرلن : نعم . راحلة لأعيش فى الخارج مرةً أخرى . الجو الإنجليزى لا يناسبنى . إن قلبى تأثر هنا ، وهذا ما لا أحب . أفضل الحياة فى الجنوب . إن لندن جيدٌ مشبعة بالضباب — وبأهل الجد من الناس يا لورد وندرمير . ولست أدرى إن كان الضباب هو الذى يصنع أهل الجد ، أم أن أهل الجد همُ الذين يصنعون الضباب . على أن ذلك جميعه يُثير أعصابى ، ولذلك فإنى راحلة عصر هذا اليوم فى قطار النادى .

ليدى وندرمير : عصرَ هذا اليوم ؟ ولكن كم كان بودى أن أجئ فأراك .

مسز إيرلن : هذا لطفٌ زائد منك ! ولكنى أخشى أن أكون مضطرة إلى الرحيل .

ليدى وندرمير : أولن أراك بعدها أبداً مسز إيرلن ؟

مسز إيرلن : أخشى ذلك . بين حياتينا بَوْنٌ شاسع . على أن لى عندك مطلباً صغيراً وددتُ لو أجبتنى إليه . أريد أن أحتفظ بصورة لك ليدى وندرمير — أتهبيننى واحدة ؟ إنك لا تعرفين كيف يشملنى الرضا إن فعلتِ .

ليدى وندرمير أوه بكل سرور . توجد على ذلك المكتب واحدة ، سأريك إياها . [تعبر إلى المنضدة]

لورد وندرمير [صاعداً إلى مسز إيرلن متكلما بصوت خفيض] يهولنى تطفلك على هذا البيت بعد ما كان من سلوكك الليلة البارحة .

مسز إيرلن [فى ابتسامة ساخرة مستخفة] عزيزى وندرمير ، آداب اللياقة مقدمة على الأخلاقيات .

ليدى وندرمير : [عائدة] أخشى أن تكون مبالغاً فى فى تجميلها . إذ لستُ على هذا القدر من الجمال .

[عارضة عليها الصورة]

مسز إيرلن : بل أنت أجمل بكثير . ولكن أليست لك صورة مع طفلك الصغير ؟

ليدى وندرمير : عندى . أتفضلين واحدة من تلك الصور ؟

مسز إيرلن : نعم .

ليدى وندرمير : سأذهب فآتيك بها ، إذا أذنتِ لى بلحظة . عندى واحدة فى الطابق العلوى .

مسز إيرلن : آسفة جداً ليدى وندرمير لتجشيمى إياك كل هذا العناء .

ليدى وندرمير : [تأخذ سبيلها إلى اليسار] لا عناء مطلقاً مسز إيرلن . مطلقاً .

مسز إيرلن : أشكرك كثيراً [تخرج ليدى وندرمير] يبدو أنك محنق هذا الصباح وندرمير . هل من موجب لذلك ؟ مارجريت وأنا أصبحنا على أجمل وفاق .

لورد وندرمير : أن أراك معها أمر فوق طاقة احتمالى . ثم إنك لم تذكرى لى الحقيقة مسز إيرلن .

مسز إيرلن : لعلك تعنى أننى لم أذكر لها الحقيقة .

لورد وندرمير : [واقفاً فى المنتصف] أتمنى أحيانا أن تكونى قد فعلتِ . إذن لأعفانى ذلك مما عانيت فى الستة أشهر

الأخيرة من شـــقاء وقلق وانزعاج .
لكننى كيلا أدع امرأتى تعرف أن أمها
التى نشأت على الاعتقاد بأنها ماتت ،
أمها التى بكتها مفتقدة إياها ، كيلا أدعها
تعرف أن تلك الأم على قيد الحياة ،
مطلقة تعيث فى الأرض باسم مستعار ،
امرأة فاسدة أفاقة ، تنتهب فرص
الحياة كما أعرفك الآن — فضلت على
ذلك إمدادك بالمال ، لتسددى ماعليك
مُستحقاً إثر مستحق ، وإسرافاً تِلْوَ
إسراف ، فضلت على ذلك ، التعرض
لما حدث بالأمس ، أول شجار وقع
بينى وبين زوجتى . أنت لاتقدرين
شأن ذلك عندى . وأنّى لك ذلك ؟
ولكنى أقول لك ، إن الكلمات المرة الوحيدة
التى بدرت من شفتيها الحلوتين ، كانت
بخصوصك أنت . وإنى لأكره أن
أراك إلى جانبها . إذ أنك تلوثين براءتها .

[يتحرك دارجاً إلى يسار المنتصف]

كنتُ دائم الاعتقاد على الرغم من جميع
أخطائك إنك كنتِ صريحة وأمينة .
إنك لستِ كذلك .

مسز إيرلن — لمَ تقولُ ذلك ؟

لورد وندرمير — لقد حملتنى على الحصول لك على دعوةٍ إلى الحفلة الراقصة التى أقامتها زوجتى .

مسز إيرلن : التى أقامتها ابنتى . نعم .

لورد وندرمير — جئت ، وقبل أن تمضىَ ساعةٌ على تركك هذا البيتَ ، وُجِدْتِ فى مسكن رجل — وجرَّت فضيحتك عليك احتقار الجميع .

[يصعد إلى المنتصف]

مسز إيرلن — نعم .

لورد وندرمير — [ملتفتاً إليها] لذلك فمن حقى أن أنظر إليك الآن على حقيقتك — امرأة خسيسة غارقة فى الرذيلة . من حقى أن أطلب إليك ألا تدخلى هذا البيت أبداً . ألاَّ تحاولى الاقتراب من زوجتى —

مسز إيرلن — [ببرود] من ابنتى تقصد .

لورد وندرمير — لاحق لك فى ادعائك بنوتها لك . لقد تركتها ، هجرتها إذ كانت طفلةً فى المهد ، هجرتها من أجل عشيقك ، الذى هجرك بدوره .

مسز إيرلن — [ناهضة] أتعد هذا عملا مشرفا له لورد وندرمير أم لى ؟

لورد وندرمير : مشرفاً له ، أقول ذلك الآن وقد عرفتُك.

مسز إيرلن : حذار — يحسن بك أن تكون حذرا .

لورد وندرمير : أوه ، ليس فى نيتى أن أرقق من حواشى الكلام معك . إنى أعرفك جيداً .

مسز إيرلن : أنا فى ريب من ذلك [ناظرة إليه فى اتزان]

لورد وندرمير : بل أعرفك . عشرون سنة من حياتك عشتها بدون طفلتك ، لا يصلنك بها تفكير . وذات يوم قرأت فى الصحف أنها تزوجت من رجل غنى ، ورأيت ذلك فرصتك الشنعاء . عرفت أنى أحتمل أى شىء لأعفيها من فضيحة العرفان بأن امرأة مثلك كانت أمها ، فبدأت الاستغلال وابتزاز المال .

مسز إيرلن : [هازة كتفيها] لا تستعمل الكلام القبيح وندرمير . إنه كلام السوقة . لقد رأيت فرصتى ، هذا صحيح ، واغتنمتها .

لورد وندرمير : أجل ، اغتنمتها — ثم ضيّعتها البارحة بافتضاح أمرك .

مسز إيرلن : [بابتسامة غريبة] أنت محق كل المحق ، ضيعتها البارحة ، ضيعتُها تماماً .

لورد وندرمير أما غلطتك فى أخذك مروحة زوجتى

من هنا، وتركك إياها فى منزل دارلنجتن، فذلك جرم لا يغتفر. إنى الآن لا أطيق النظر إليها. سوف لا أدع امرأتى تستعملها قط. فلقد أصبحت فى نظرى شيئاً مدنساً. كان يجب أن تحتفظى بها، وألاّ تعيديها.

مسز إيرلن — أظننى سأحتفظ بها بالفعل. [تصمد] إنها غاية فى الحسن [تتناول المروحة] سأسأل مارجريت أن تعطينى إياها.

لورد وندرمير — أتمنى أن تعطيك زوجتى إياها.

مسز إيرلن — أوه. إنى متأكدة من أنها لن تمانع.

لورد وندرمير — وأتمنى فى نفس الوقت، أن تعطيك صورة صغيرة اعتادت تقبليها كل ليلة قبل الصلاة — إنها صورة مصغرة لفتاة عليها سيماء الطهارة. ذات شعر جميل أسود.

مسز إيرلن — آه نعم. إننى أذكر. لكم يبدو ذلك بعيداً. [تذهب فتجلس على الأريكة] لقد صُوِّرْتُها قبل أن أتزوج. كان الشعر الأسود، وسيماء البراءة، هما الطراز الأخير وقتئذ يا وندرمير. [فترة صمت]

لورد وندرمير ماذا تعنين بمجيئك هنا هذا الصباح ؟
ما غايتك ؟ [عابراً أيسر المنتصف ثم جالساً]

مسز إيرلن [بنبرة تهكم فى صوتها]
بالطبع لأقول لابنتى العزيزة وداعاً .

[لورد وندرمير يعض على شفته السفلى فى غضب]
[مسز إيرلن تتطلع إليه . ويشيع فى صوتها وكيانها الجد والأسى العميق . ولمدى لحظة تصرح بما انطوت عليه]

أوه ، لاتتصور أننى سأمثل مشهداً مؤثرا مع ابنتى . فأبلل بالدمع رقبتها ، وأخبرها من أنا ، وكل ما ماثل ذلك . لستُ أطمع فى أن أقوم بدور الأم . مرةً واحدة فى حياتى عرفت ما أحاسيس الأمومة . حدث ذلك الليلة البارحة . كانت أحاسيس مفزعة — جعلتنى أتألم — لشد ما تؤلم هذه الأحاسيس . لأننى طوال عشرين عاماً كما تقول ، عشتُ عديمة الولد — وما زلت أريد أن أعيش عديمة الولد .

[مدارية مشاعرها خلف ضحكة مستهترة]
ثم يا عزيزى وندرمير ، كيف أدّعى

فى هذه الدنيا أنى أمٌّ لابنةٍ فى هذه السن ؟ مارجريت أكملت الواحدة والعشرين ، وأنا لم أعترف قط أنى فوق التاسعة والعشرين ، أو الثلاثين على الأكثر . فى التاسعة والعشرين عندما أكون تحت نور المصباح الوردى ، وفى الثلاثين عندما لا أكون . وهكذا ترى أية مشاكل تترتب على ذلك . دع زوجتك تمضى فى تقديس تلك الأم الميتة الطاهرة الناصعة النقاء . لماذا أقتحم عليها أوهامها ؟ لقد شق علىَّ الاحتفاظ بأوهامى . تبدد وَهْمٌ من أوهامى الليلة البارحة . كنت أعتقد ألاّ قلب لى ، فإذا بى أحس وجوده بين جوانحى . والقلب شىء لا يناسبنى يا وندرمير . إنه مجافٍ للزى العصرى . إنه يجعل الإنسان يبدو هرما .

[تتناول من على المنضدة مرآة ذات مقبض وتروح تنظر فيها] .

وإنه ليفسد على الإنسان مستقبل حياته فى اللحظات الحاسمة .

اللورد وندرمير : إنك لتملئين نفسى بالفزع ، بأشد الفزع .

مسز إيرلن : [ناهضة] .
أعتقد وندرمير أنك تريدنى على أن أعتكف فى دير ، أو أن أصبح ممرضة فى مستشفى ، أو شىء من هذا القبيل ، كما يفعل الأبطال فى القصص العصرية الخرقاء . ذلك حمقٌ منك آرثر . فنحن فى واقع الحياة لا نفعل مثل ذلك — لا نفعله فى أية حال ما بقيت لنا مسحة من وسامة . لا . إن ما يُعزَّى به المرء فى هذه الأيام ، ليس هو الندم ، وإنما هو المتعة . لقد أصبح الندم شيئاً عتيقاً من طراز قديم . وفضلا عن ذلك ، فندم المرأة الحق ، آيتُهُ أن تلبس من صنع خياط غير ذى حذق . وإلاّ فلن يصدقها أحد . وليس فى العالم أجمع ما يقنعنى بفعل ذلك . لا ، إنى لمخلية حياتيكما كلية منى . كان دخولى إليهما خطأ أى خطأ — استكشفتُ ذلك الليلة الماضية .

اللورد وندرمير خطأ مشئوماً .

مسز إيرلن [مبتسمة] مشئوم فى الغالب .

لورد وندرمير : يؤسفنى الآن أننى لم أبادر بإطلاع امرأتى على الحقيقة كاملة .

مسز إيرلن : أنا آسف على سيئاتى ، وأنت تأسف على حسناتك — ذلك هو الفرق بيننا .

لورد وندرمير : أنا لا أثق بك . ولسوف أخبر زوجتى . لخيرٌ لها أن تعرف — وأن تعرف ذلك منى أنا . سيسبب لها ذلك ألما متناهياً ، سيشعرها بالمذلة على نحو مفزع ، ولكنه من سداد الرأى أن تعرف .

مسز إيرلن : أتعتزم أن تخبرها ؟

لورد وندرمير : لقد صح عزمى على ذلك .

مسز إيرلن : إن فعلت ، فسأمْعِنُ فى تلويث اسمى بحيث ينغص كل لحظة من حياتها ، بحيث يجر عليها الخراب والشقاء . إن أنت جرؤت على إخبارها ، فلن أترك حضيضا مشيناً إلا غصت فيه ، ولا هاوية سحيقة للعار إلا ترديْت فيها . لن تخبرها ، إنى أحظر هذا عليك !

لورد وندرمير : لماذا ؟

مسز إيرلن : [بعد فترة صمت] لو قلت لك إننى أهتم لها ، بل وأحبها ، لضحكت ساخراً منى ، أليس كذلك ؟

لورد وندرمير : بل لشعرت أنك تدّعين . فحب الأم إنما يعنى التفانى وإنكار الذات ، والتضحية. من أين لك معرفة مثل هذه الأشياء ؟

مسز إيرلن : صدقت . من أين لى معرفة مثل هذه الأشياء ؟ دعنا من الحديث فى ذلك — أما إطلاعك ابنتى على من أكون ، فذلك ما لا أسمح به . هذا سرى ، وليس بسرك . وإذا أنا قررتُ إخبارها ، وأظننى فاعلة ، فسأخبرها قبل أن أبرح هذا البيت — وإلاّ فلن أخبرها أبداً .

لورد وندمير : [فى غضب] إذن فاسمحى لى فى رجائك أن تبرحى بيتنا حالا . سأبلغ مارجريت اعتذاراتك .

[تدخل ليدى وندرمير من اليمين . تقصد من فورها إلى مسز إيرلن والصورة فى يدها . لورد وندرمير يتحرك حتى يصبح خلف الأريكة ، ويرقب مسز إيرلن فى قلق ، أثناء اضطراد المشهد]

ليدى وندرمير : آسفة جداً مسز إيرلن أن جعلتك تنتظرينى طويلا . لم أعثر على الصورة فى أى مكان . وأخيراً استكشفتها عند زوجي فى غرفة زينته — كان قد سرقها .

مسز إيرلن : [تأخذ منها الصورة وتتأملها] لا غرابة أنها رائعة [تدرج نحو الأريكة مع ليدى وندرمير وتجلس بجانبها . ثم تعود إلى تأمل الصورة] وهذا هو ابنك الصغير إذن ! ما اسمه ؟

ليدى وندرمير : چيرارد ، كاسم أبى .

مسز إيرلن : [واضعة الصورة] حقيقة ؟

ليدى وندرمير : أجل ، ولوكان بنتا لأسميتها باسم أمى . أمى كانت تدعى بنفس اسمى . مارجريت .

مسز إيرلن : وأنا أيضاً اسمى مارجريت .

ليدى وندرمير : حقيقة !

مسز إيرلن : أجل [فترة صمت] إنك مخلصة للذكرى أمك ليدى وندرمير . أخبرنى زوجك بذلك .

ليدى وندرمير : لكل منا مثله العليا فى الحياة . أو هذا على الأقل مايجب أن يكون . ومثلى الأعلى أنا هو أمى .

مسز إيرلن : المثل العليا أشياء خطرة . إن الحقائق أفضل . إنها جارحة ولكنها أفضل .

ليدى وندرمير : [هازة رأسها] إن فقدت مثلى العليا ، فقدت كل شئ .

مسز إيرلن : كل شئ ؟

ليدى وندرمير : أجل [فترة صمت]

مسز إيرلن : هل حدثك أبوك كثيراً عن أمك ؟

ليدى وندرمير : لا . كان ذكرها يسبب له ألماً بالغاً . روى لى كيف ماتت أمى بعد مولدى بأشهر قلائل . كانت عيناه تغرورقان بالدمع وهو يتكلم . ثم رجانى ألاّ أعود البتة فأذكر له اسمها . كان يألم كثيراً لمجرد سماعه . أبى — فى الحق لقد مات أبى متأثراً بصدمة قلبية . كانت حياته أشقى حياة عرفتها .

مسز إيرلن : [ناهضة] أخشى أنه قد وجب رحيلى الآن ليدى وندرمير .

ليدى وندرمير : [ناهضة] أوه لا . لا ترحلى .

مسز إيرلن : بل يحسن بى ذلك . لابد أن عربتى قد عادت الآن . كنت قد أرسلتها برسالة إلى ليدى چيدبره .

ليدى وندرمير : آرثر ، هل لك فى أن تذهب لترى ماإذا كانت عربة مسز ايرلن قد عادت ؟

مسز إيرلن : أتوسل إليك ألا تزعج نفسك لورد وندرمير .

ليدى وندرمير : بل اذهب آرثر . اذهب أرجوك .

[لورد وندرمير يتردد لحظة وينظر إلى مسز إيرلن التى تظل جامدة . ثم يخرج من الحجرة] [لمسز

إيرلن] أوه ! ماذا عساى أقول لكِ ؟
لقد أنقذتنى الليلة البارحة [تتقدم نحوها]

مسز إيرلن : هش — لا تذكرى شيئاً عنها .

ليدى وندرمير : بل يجب أن أتكلم . لا يمكننى أن أدعك تظنين أننى سأقبل هذه التضحية . لست أقبل . إنها تضحية هائلة . سأفضى لزوجى بكل شئ . إنه واجبى .

مسز إيرلن : بل إنه ليس واجبك — ثم إن عليك واجبات لآخرين غيره . تقولين إنك مدينة لىَ بشئ ؟

ليدى وندرمير : أنا مدينة لك بكل شئ .

مسز إيرلن : إذن فوفِّى دينك لى بأن تلزمى الصمت . هذا هو الطريق الوحيد لوفائك به . لا تحبطى العمل الصالح الوحيد الذى قدمت طول حياتى بإطلاع أحد عليه . عدينى أن ما حدث الليلة البارحة سيبقى سراً بيننا . يجب ألا تجلبى الشقاء على حياة زوجك . لمَ تُسَمِّمِينَ حبه ؟ يجب ألا تفعلى . فما أسهل ما يُقتل الحب . أوه ! ما أسهلَ ما يُقْتَلُ الحب . عاهدينى ليدى وندرمير أنك لن تخبريه أبداً . إنى أصر على ذلك .

ليدى وندرمير : [برأس منحن] إنها مشيئتك وليست بمشيئتى .

مسز إيرلن : نعم . هى إرادتى . ولا تنسَىْ أبداً طفلك — أحب أن أذكرك دائماً كأم . وأحب منك أن تذكرى أنك أم كذلك .

ليدى وندرمير : [رافعة بصرها] ذلك ما أنا فاعلته منذ اليوم ، وإلى الأبد . مرةً واحدةً فى حياتى ، نسيت أمى — كان ذلك الليلة الماضية . أوه ، لو أنى ذكرتها لما وقعت فى مثل ما غلب علىَّ من حماقة وشر .

مسز إيرلن : [فى رعدة خفيفة] حسن . الليلة البارحة ، قد انقضت تماماً .

[يدخل لورد وندرمير]

لورد وندرمير : عربتك لم تعد بعد مسز إيرلن .

مسز إيرلن : ليس لهذا أية أهمية . سأستأجر عربة . ليس شىء فى العالم أدعى إلى الاحترام من عربات الأجرة الفاخرة . والآن يا عزيزتى ليدى وندرمير آن أوان الرحيل ، فوداعاً [تصعد قليلا فى المنتصف] أوه تذكرت وأرجو ألاَّ تعدى ما سأقول سخفاً أو سفهاً . هل تعلمين أن نفسى قد تعلقت بالمروحة التى كان من رعونتى

أن خرجت بها البارحة من حفلك الراقص . وإنى لأتساءل الآن : هل تمنحيننى إياها ؟ لورد وندرمير يقول إن الأمر لك ، أعرف أنها هديته .

ليدى وندرمير : أوه ، بكل تأكيد أفعل إذا كان فى ذلك ما يسرك . ولكنها تحمل اسمى منقوشاً عليها . عليها اسم مارجريت .

مسز إيرلن : ولكن كلتيهما تحمل نفس الاسم .

ليدى وندرمير : أوه نعم . لقد نسيت . تفضلى إذن وخذيها . إنه لمن حسن الاتفاق أن يتفق اسمانا .

مسز إيرلن : اتفاق مدهش حقاً . لك كل شكرى . ستذكرنى بك دائماً [تصافحها يداً بيد]

[يدخل باركر]

باركر : لورد أوجستس لورتن . عربة مسز إيرلن قد وصلت [يدخل لورد أوجستس لورتن]

لورد أوجستس : صباح الخير يا فتاى العزيز . صباح الخير ليدى وندرمير [يقع بصره على مسز إيرلن] مسز إيرلن !

مسز إيرلن : كيف حالك لورد أوجستس ؟ هل أنت على خير حال هذا الصباح ؟

لورد أوجستس : [فى برود] على خير حال ، أشكرك مسز إيرلن .

مسز إيرلن : بل إنك لا تبدو كذلك بحال يا لورد أوجستس . إنك تطيل السهر — وهذا يُضِر بك أبلغ الضرر . حقاً يجب عليك أن تُولِى نفسك اهتماماً أكثر . وداعاً لورد وندرمير .

[تقصد إلى الباب منحنية للورد أوجستس . وفجأة تبتسم وترجع ببصرها إليه] لورد أوجستس ! ألا توصلنى إلى عربتى ؟ يمكنك أن تحمل المروحة .

لورد وندرمير : اسمحى لى أن أفعل !

مسز إيرلن : عذراً ، إنما أنا بحاجة إلى لورد أوجستس . فعندى رسالة خاصة أريد أن أحمله إياها لأخته الدوقة العزيزة . ألا تحملُ المروحة لورد أوجستس ؟

لورد أوجستس : إذا كنت حقيقة ترغبين مسز إيرلن .

مسز إيرلن : [ضاحكة] بكل تأكيد أرغب . ستحملها بنفس رضيّة . إنك لتحملُ كل شىء

بنفس رضيّة أيها العزيز لورد أوجستس .

[عند ما تصل إلى الباب ترجع ببصرها مدى لحظة إلى ليدى وندرمير . تلتقى عيونهما . ثم تستدير وتخرج من المنتصف فى الصدر يتبعها لورد أوجستس لورتن]

ليدى وندرمير : إنك لن تعود أبداً إلى ذكر مسز إيرلن بسوء آرثر . أتعد بذلك ؟

لورد وندرمير : [فى جد ووقار] إنها أفضل مما كان يظنها الإنسان .

ليدى وندرمير : إنها لأفضل منى .

لورد وندرمير : [مبتسما وهو يمسح فى رفق على شعرها] أيتها الطفلة . إن كلاً منكما ينتمى إلى إلى عالم مختلف . وإن السوء لم يعرف طريقه إلى عالمك .

ليدى وندرمير : لا تقل ذلك آرثر . فما يوجد إلا عالم واحد لنا جميعاً . عالم يسير فيه الخير والشر ، البراءة والخطيئة ، جنباً إلى جنب . وما مثّلُ من يتجاهلُ الشرّ وهو نصف الحياة ، ليعيش فى طمأنينة ، إلا كمثل من يغمض عينيه ليسير فى أمان وسط أرض كثيرة الحفر والمهاوى .

لورد وندرمير : [نازلا نحو مقدمة المسرح]
يا حبيبتى ، لمَ تقولين ذلك ؟

ليدى وندرمير : [تجلس على الأريكة]
لأننى أنا التى أغمضت عينىّ عن الحياة ،
قد شارفت حافة الهاوية . وتلك التى
كانت قد فصلت بيننا —

لورد وندرمير : لم يحدث أن فُصِلَ بيننا أبدًا .

ليدى وندرمير : يجب ألاّ يُفصلَ بيننا مرة أخرى . أوه
آرثر ، أولنى كل ما كنت توليني
من حب ، وسأزداد ثقة بك . سأثق
بك كل الثقة . لنرحل إلى «سلبى» . ففى
حدائقها ورود حمراء وأخرى بيضاء .
[يدخل لورد أوجستس لورتن من المنتصف]

لورد أوجستس : آرثر . إنها قد شرحت كل شىء .
[ليدى وندرمير تبدو فزعة عند سماعها ذلك . لورد
وندرمير يبدو عليه الاهتمام . لورد أوجستس يأخذ
لورد وندرمير من ذراعه ويتقدم به إلى مقدمة
المسرح . يتكلم فى سرعة وانطلاق وفى صوت
خفيض . ليدى وندرمير تقف مراقبة فى ذعر]
يا فتاى العزيز . لقد شرحت لى كل شىء
عن تلك المسألة الملعونة . لقد ظلمناها

جميعاً ظلماً فادحاً : إنها ماذهبتْ عند دارلنجتن إلا من أجلى أنا . وصلتْ أولا إلى النادى — وفى الحق أنها كانت تقصد إنقاذى من حيرتى ، إشفاقاً على من قضاء ليلتى معلقاً . سألت عنى فى النادى ، وقيل لها إنى خرجت فتبعتنى . وكان من الطبيعى جداً أن تفزع إلى غرفة أخرى عند ما سمعت قدوم هذا الفوج الكبير منا . أؤكد لك أن كل ذلك مقنع ومُرضٍ جداً . لقد تصرفنا معها جميعاً تصرفاً غير كريم . إنها المرأة الوحيدة التى تصلح لى . كأنما فُصِّلتْ تماماً على مقاسى من الرأس إلى أخمص القدم . كل ما تشترطه هو أن نعيش بعيدين عن انجلترا كل البعد . وذلك أيضاً شئ حسن . فلقد سئمت النوادى اللعينة ، والجو اللعين ، والطهاة الملاعين ، وكل هذه الأشياء اللعينة . لقد سئمتها جميعاً .

ليدى وندرمير : [فزعة] هل مسز إيرلن — ؟

لورد أوجستس : [متقدماً نحوها فى انحناءة كبيرة].
نعم ، ليدى وندرمير — مسز إيرلن
أولتنى شرف قبولها يدى . قبلتنى زوجاً .

لورد وندرمير : وإنك بذلك لفائز بالزواج من امرأة
هى بين النساء آية فى براعة الذكاء .

ليدى وندرمير : [آخذة بيد زوجها]
آه ، بل آية كذلك فى الطيبة والصلاح .

[وينسدل ستار الختام]

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع رأس البر بوطين بالقاهرة تليفون ٤٤١١٨
الفرع ١٣ شارع جلاون تليفون ٥٢٦٣٩